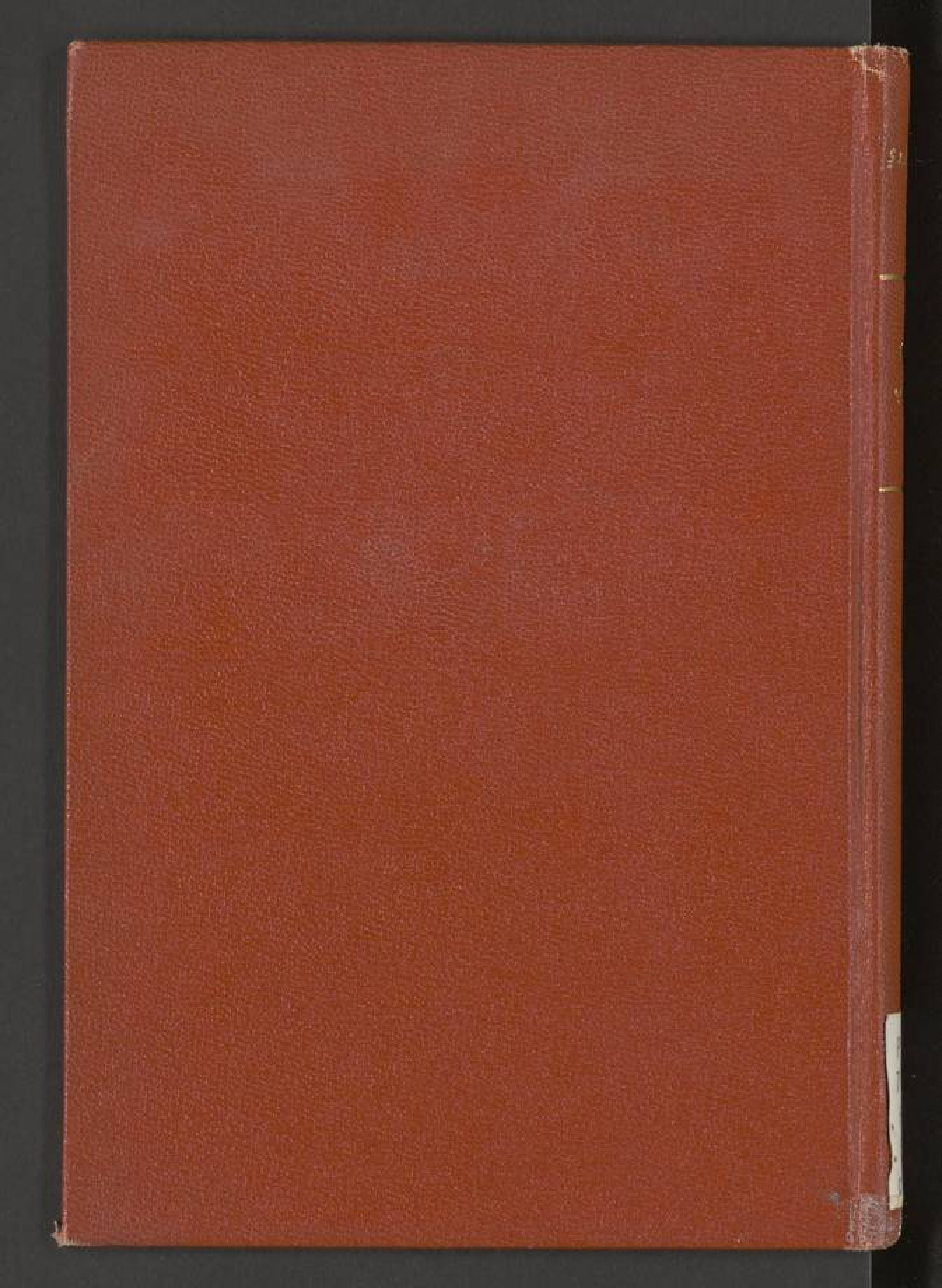


ماجد سعيد

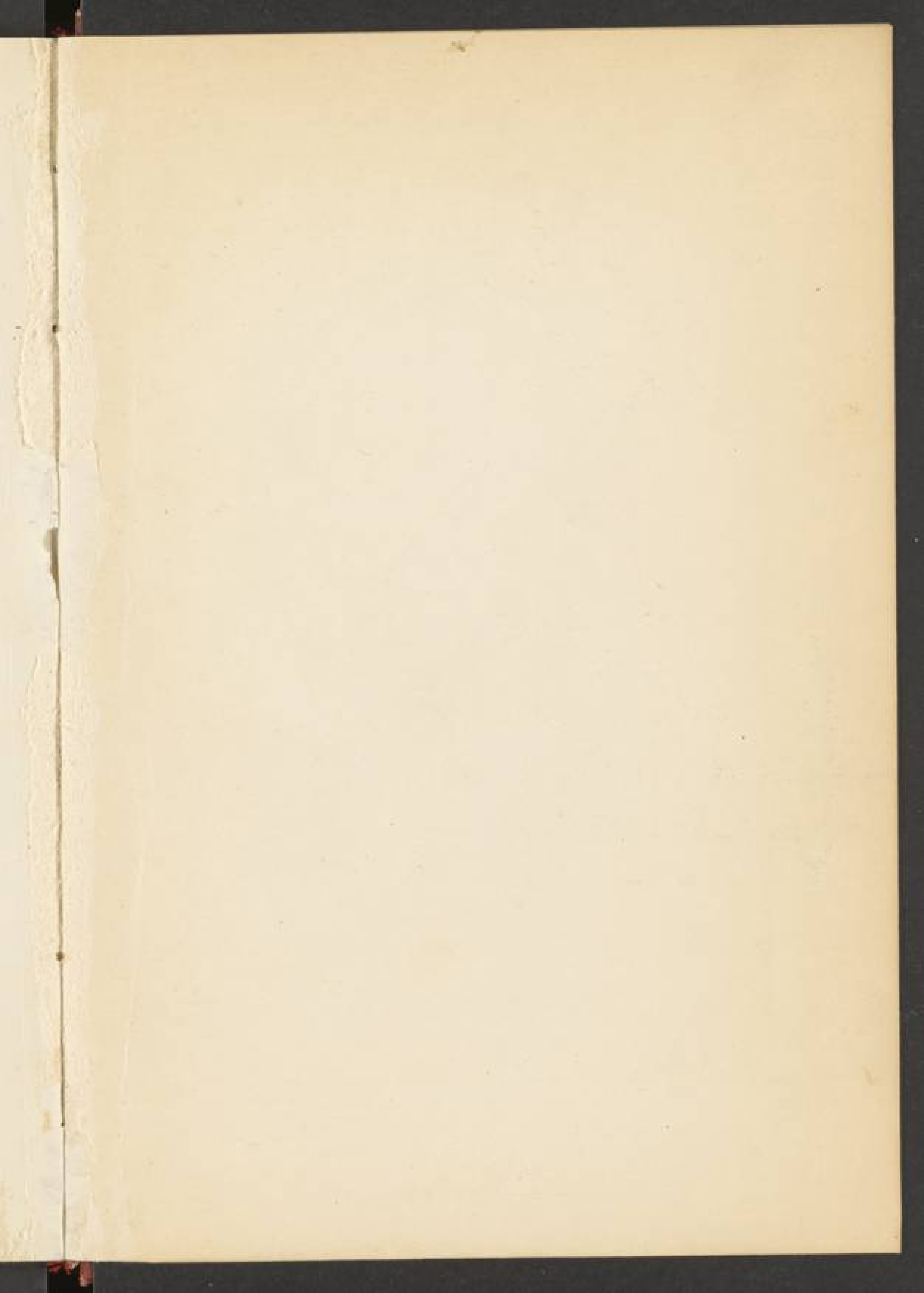
Majed F. Sa'id

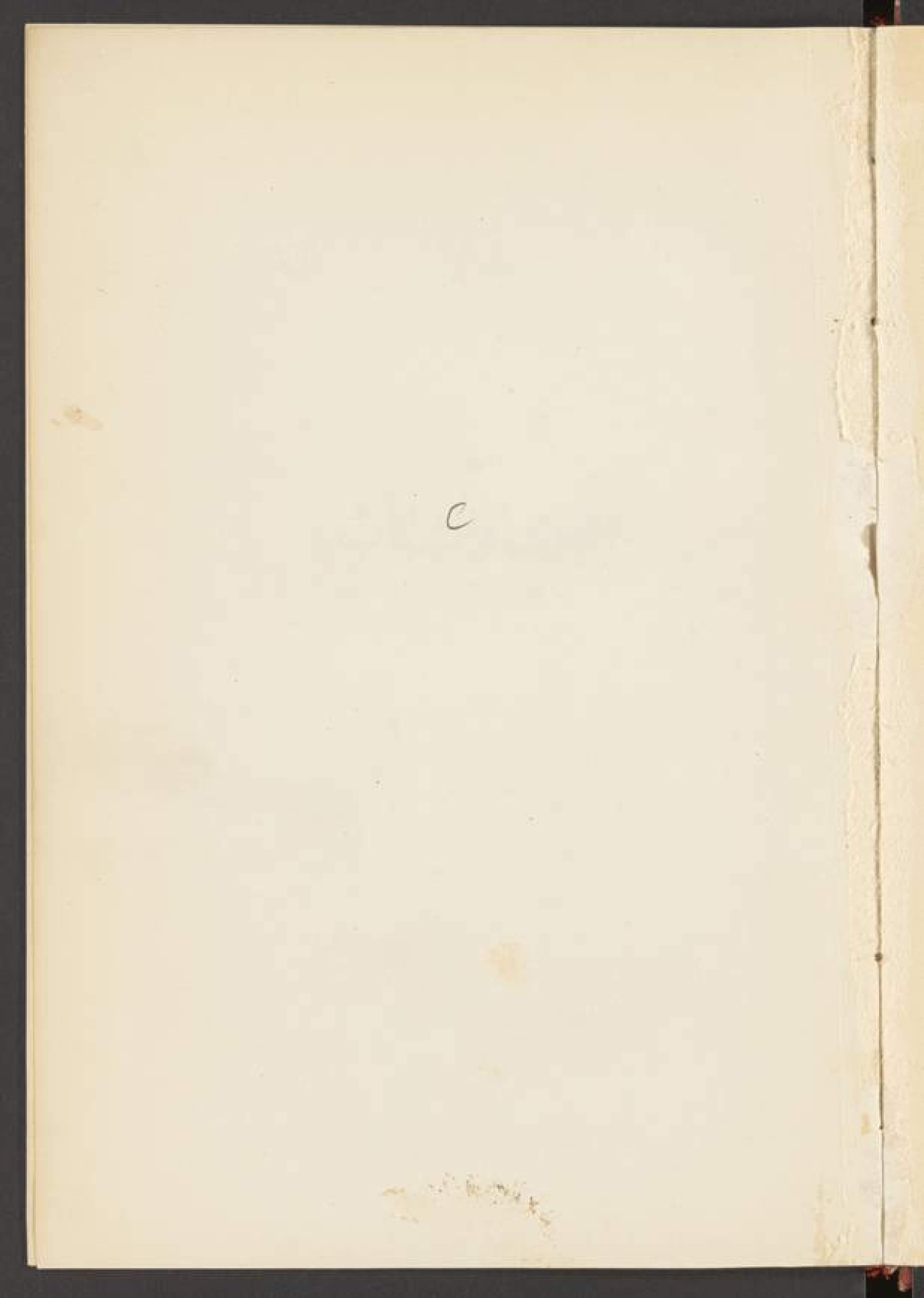


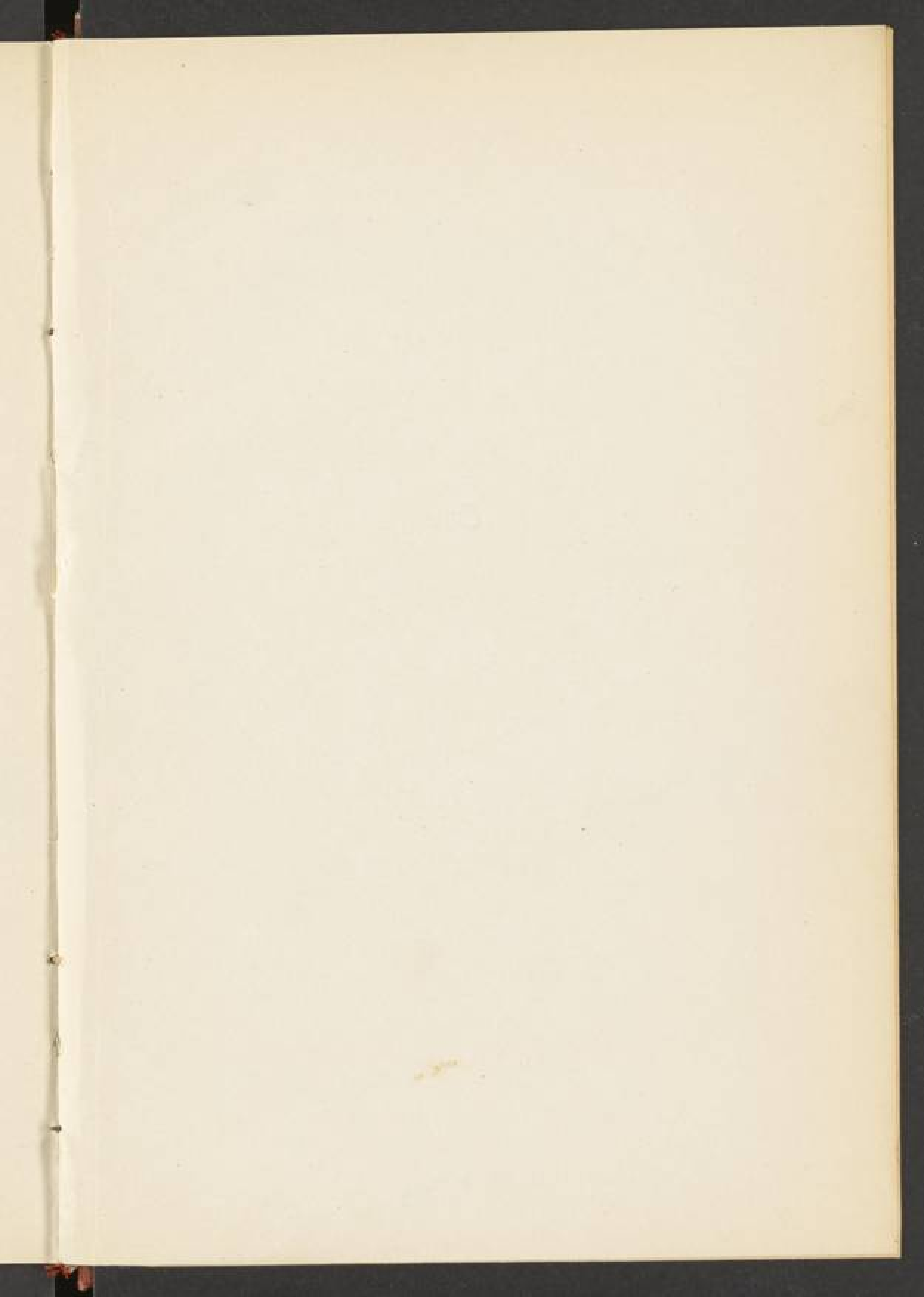
بشاره الخوري
الأخطل الصغير

الهوى والشباب

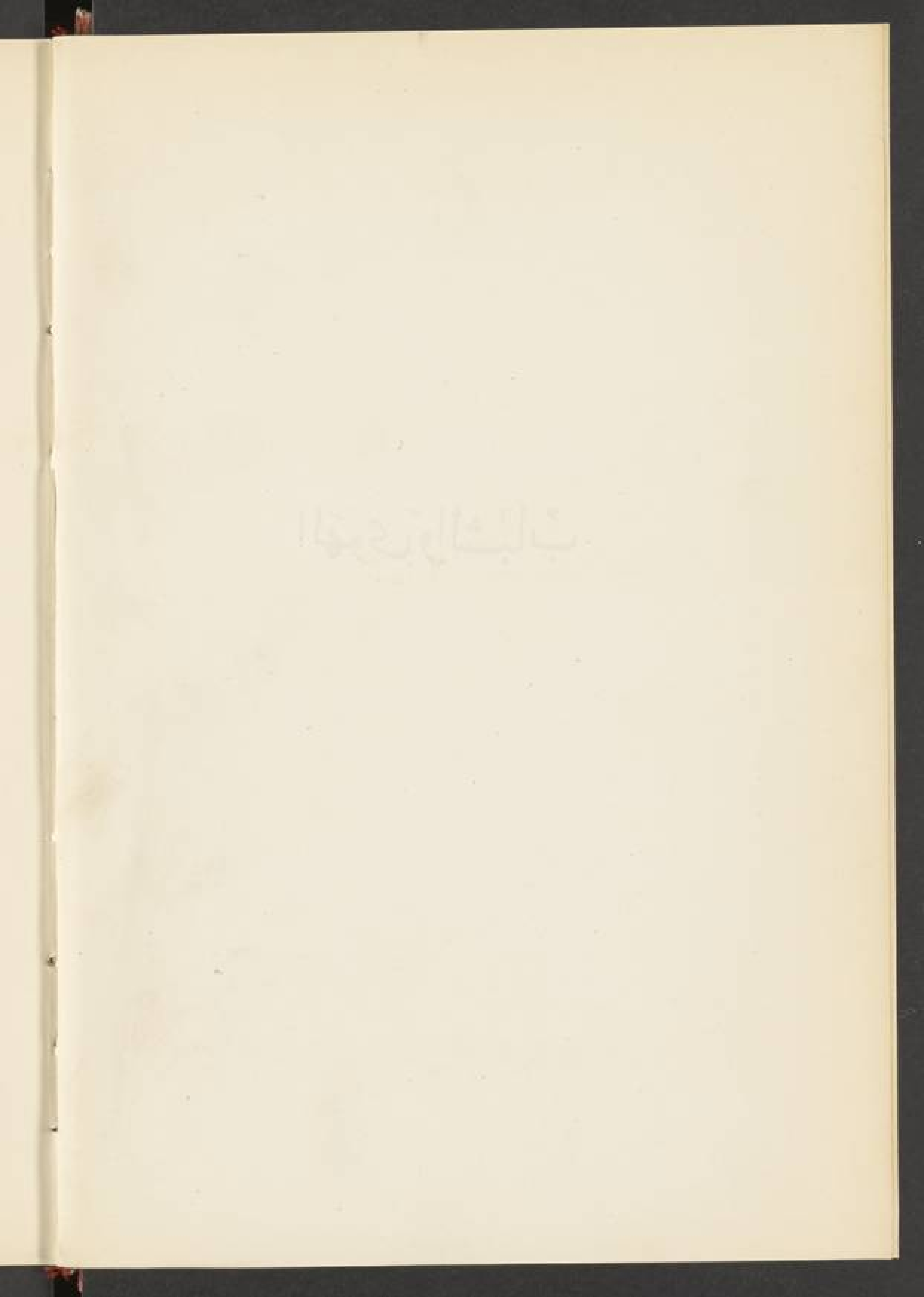
ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف







الهَوَى والشَبابُ



ماجد سعيد
بيروت في ١٨ تشرين أول ٥٦

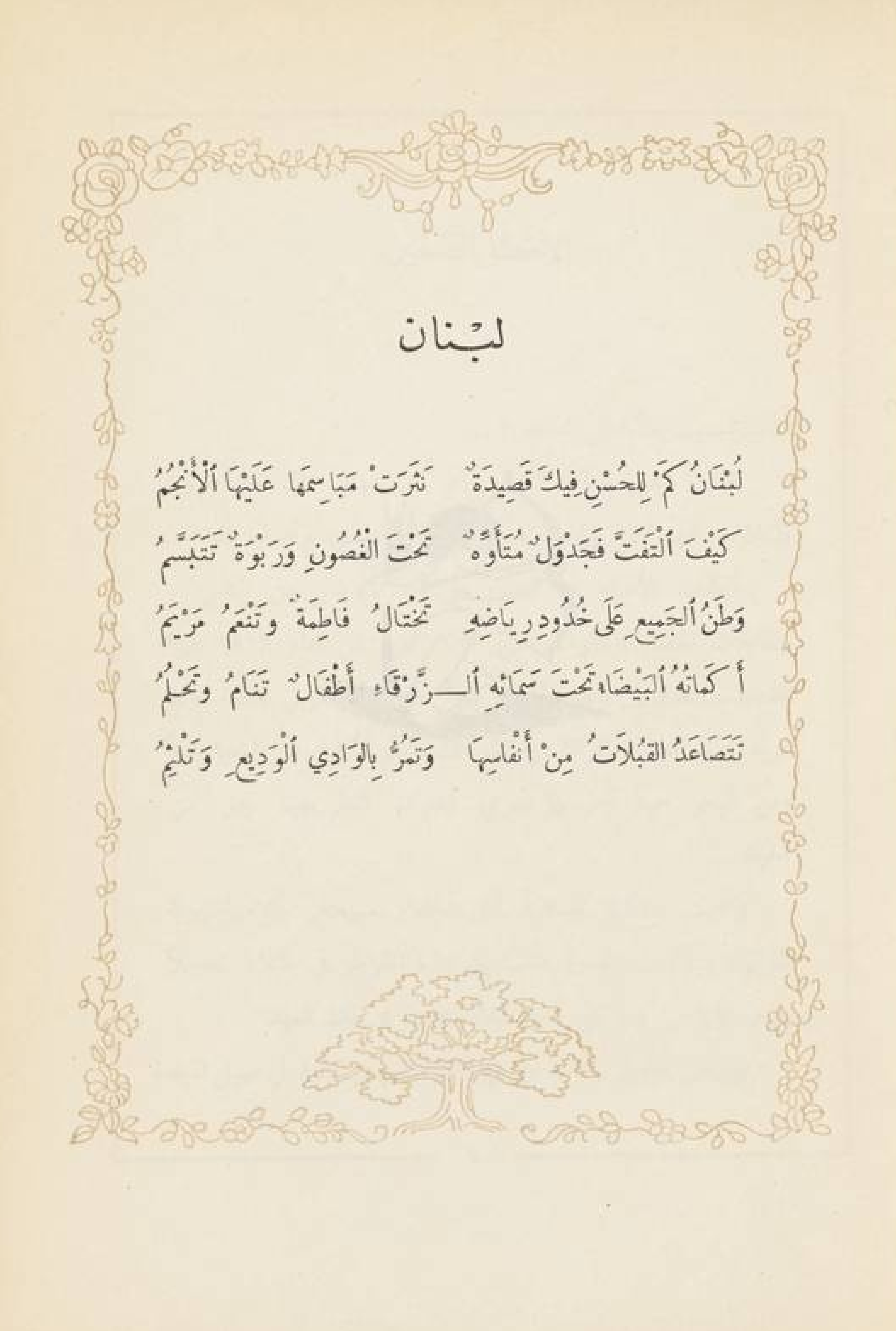
بشاره الخوري

الأخطل الصغير

الهَوَى والشَّبابُ

ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف



لبنان

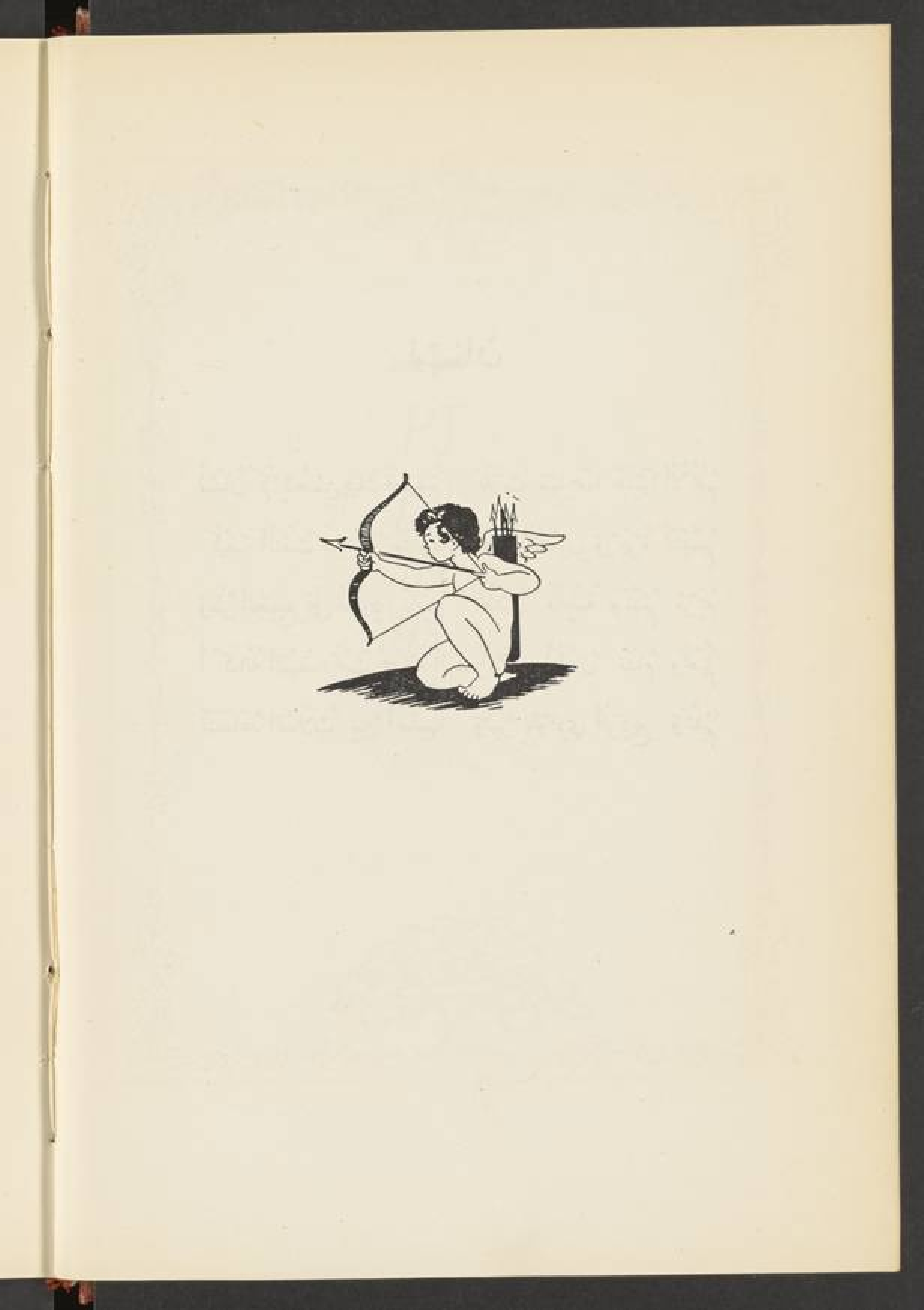
لُبْنَانُ كَمْ لِلْحُسْنِ فِيكَ قَصِيدَةٌ ... نَثَرَتْ مَبَاسِمَهَا عَلَيْهَا الْأَنْجُمُ

كَيْفَ الْتَفَتَّ فَجَدْوَلٌ مُتَأَوِّهٌ ... تَحْتَ الْغُصُونِ وَرَبْوَةٌ تَتَبَسَّمُ

وَطَنُ الْجَمِيعِ عَلَى خُدُودِ رِيَاضِهِ ... تَخْتَالُ فَاطِمَةٌ وَتَنْعَمُ مَرْيَمُ

أَكَمَاتُهُ الْبَيْضَاءُ تَحْتَ سَمَائِهِ الـزَّرْقَاءِ أَطْفَالٌ تَنَامُ وَتَحْلُمُ

تَتَصَاعَدُ الْقُبُلَاتُ مِنْ أَنْفَاسِهَا ... وَتَمُرُّ بِالْوَادِي الْوَدِيعِ وَتَلْثِمُ



الأخطل الصّغير

لماذا تسميت بالأخطل الصغير ؟ ...

كانت الحرب العالمية الأولى . ثم كان عهد « جمال » في سوريا ولبنان وهو عهد النفي والمشنقة ، بل عهد الإرهاب بجميع أسبابه وأنواعه .

وانطوت الأعوام بعد الشهور على حالات شتّى من البؤس ، ومفاجآت مفعمة بالمخاوف حتّى كان تموز من عام ١٩١٦ فإذا أنا مطمئن قليلاً إلى نفسي آنس كثيراً بكتبي بعد طويل وحشة وأليم غربة ؛ ولقد كنت وسائر الناس خلال ذلك نتنسّم الأخبار عن البادية حيناً وعن البحر حيناً آخر ولا ندري أيدركنا السلم وفينا رمق من الحياة .

وكانت الفكرة السائدة أن الحلفاء سيبعثون الإمبراطورية العربية ، وكانت الحاجة ماسّة إلى إثارة الخواطر في البلاد تعجيلاً ليوم الخلاص وهو كل أمنية البلاد العربية في ذلك العهد .

ولم يكن ليجرؤ واحدنا ولو في الحلم أن يرسل كلمة في سبيل النهضة

ولو همساً فكيف به إذا هو شاء أن يرسل في ذلك السبيل قصيدة يترجع صداها .

وكان يعجبني من الأخطل خفة روحه وإبداعه في اصطياد المعاني يقودها ذليلة إلى فصيح مبانيه ؛ وفوق ذلك فقد كان الشاعر المسيحي الفذ تتفتح له أبواب الخلائف يملؤها لذة وطرباً وإدلالاً بل يملؤها ذلك الشرف الذي لا يبلى والمجد الذي لا يفنى كهذا الذي تقرأه له في بني مروان وعبد الملك :

نَفْسِي فِدَاءُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا   أَبْدَى ٱلنَّوَاجِزَ يَوْماً عَارِمٌ ذَكَرُ
ٱلْخَائِضُ ٱلْغَمْرَةَ ٱلْمَيْمُونُ طَائِرُهُ   خَلِيفَةُ ٱللهِ يُسْتَسْقَى بِهِ ٱلْمَطَرُ
شُمْسُ ٱلْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ   وَأَعْظَمُ ٱلنَّاسِ أَحْلاماً إذا قَدَرُوا

فرأيت وأنا أدعو للدولة العربية وموقفي منها موقف الأخطل من دولة بني مروان أن أدل على حقيقة الشاعر المتنكر فلم أر « كالأخطل الصغير » أوقع به ما كانت تقطره القريحة المتألمة من شعر لم يبق لي منه إلا كبقية الوشم في ظاهر اليد .

وكيف يستطاع حفظ ذلك الشعر الذي لم أكن أجرؤ على

الاحتفاظ به بين أوراقي في عهد كان هذا لسان حاله :

أَلجِمْ لِسانَكَ أَلجِمِ فَالْمَوْتُ لِلْمُتَكَلِّمِ
لا يَسْأَلُونكَ إِنْ أَخذ تَ أَثِمتَ أَمْ لَمْ تأْثَمِ
فَالْحَبْلُ شَرُّ مُرَحِّبٍ وَالْعُنْقُ خَيْرُ مُسَلِّمٍ
وَالسِّجْنُ أَكْرَمُ صَاحِبٍ وَالنَّفيُ أَيسرُ مَغْنَمِ

وهي قصيدة طويلة كنت أحتال لحفظها بإثبات قوافيها متسلسلة ولكن لسوء الحظ أو لحسنه جاء النسيان عليها فطمسها من الذاكرة إلا بيتين عزيزين مهدت لهما بتصوير الرعب وأخذه بقلوب الناس حتى لا يأخذ العيون منهم الغمض إلا لماماً :

وَجَرَتْ يَنَابِيعُ الْكَرى كَتَوَهُّمِ الْمُتَوَهِّمِ
فَإِذَا عُيُونُهُمُ عَلَيْها كَالطُّيُورِ الْحُوَّمِ

إذن فقد عرفت كيف ومتى تسميت بالأخطل الصغير وهو حسبك .

بشاره الخوري



بشاره الخوري
شاعِر الهوى والجمال

بقلم الأستاذ عادل الغضبان

نفحُ الرّيحان وشُعاع الصّهباء . . .

وحمرة الشّفق وخضرة الأرز . . . .

ونعومة الحرير ورقّة خدود الورد . . .

إذا جُبلتْ بندى الصّباح وبسمة الفجر ونفخ فيها النسيم من نفثاته كانت صورةً صادقةً لروح بشاره الخوري شاعر الهوى والجمال .

عاش حتى اليوم بتلك الروح الرقيقة الحلوة ينبض بها الشعور الحيّ الخافق فأسالها على أوتار الشعر غناءً تنتشي منه القلوب قبل الأسماع وحمل ذلك الغناء إلى قلوب الناس صوراً من جراحات الهوى وبسماته فكان لنفوسهم مهزّة حرّكت جوانح الهانئ السعيد وسكبت بلسم العزاء على فؤاد الشجيّ العميد .

ديوان « الهوى والشباب » وهو الجزء الأول من شعر الشاعر الكبير الأستاذ بشاره الخوري قطعة موسيقية تعدّدت فيها الأصوات والنغمات

ولكنها صدرت كلها عن قيثارة الهوى والشباب فهناك ما شئت من أمانٍ وأحلام وهناك ما شئت من بسمات المنى وعبسات القدَر وهناك ما شئت من حلاوة الوصال ومرارة الهجر ومن غفوات النجوم على سواعد السحاب أو رقصات الزهر على ألحان الغدير وينبوع هذا كله قلبٌ شاعرٌ فياض بالشعور قدّمه صاحبه على مذبح الهوى والشباب قرباناً يفدي به جمهرة العشاق كأنه المبعوث إلى عالم الحب ليحمل عن المحبين أثقال العذاب والألم حتى إذا ضاق بالفداء ذرعاً كما ضاق به المسيح يوم طلب إلى الله أن يبعد عنه تلك الكأس نراه يجأر ويصيح :

أأنا العاشِقُ الوحيدُ لتلقى تَبِعاتُ الهوَى على كَتِفيَّا

على أنها صيحة في لحظة بَرَم ويأس فالشاعر قد حمل تبعات الهوى على كتفيه وكان منذ شبابه الأول صنّاجة المحبين يلمّ أمانيهم ويجمع أشجانهم ويمرّ بها على نياط قلبه فتطلقها أناشيد تحدّث العشاق عن العشاق وهو وحده يعرف مباعثها وأغوارها ويقول في ذلك :

خَلَقَ اللهُ للهوى قُبلةَ الرُّو حِ وراءَ الخُدودِ والأَجْيادِ
أنا أدْرَى بالطَّيرِ حينَ تغنّي كم جراحٍ سالتْ على الأعْوادِ

وهذه الجراحُ الكامنة وراء تغريد الطيور ينطوي قلب الشاعر على مثلها فإذا سجع وغرّد فمن فؤاد خلقه الله من شعاع ودموع وما هي نغمات ترسلها العقيرة وإنما هي قطرات من دم الفؤاد :

ليسَ ما يشجيكَ منّي نغمـــاتٌ في فَمِي
إنّهـا وا لَهْفَ نفسِي قطراتٌ من دَمِي

ذلك هو الطابع الذي يمتاز به شعر الأخطل الصغير في ديوان « الهوى والشباب » .

والأخطل الصغير هو بشاره الخوري ولقد ذكر لنا في الصفحات الأولى من هذا الديوان لماذا تسمّى بالأخطل الصغير .

فللأخطل الصغير اليوم في الأمم العربية منزلة الأخطل الكبير في الدولة الأموية فما من بلد عربي إلا وله في نفوس أبنائه المكانة الرفيعة فإن لم يكن شاعر دولة بعينها أو شاعر أمير بعينه فلأنه شاعر الدول والأمراء أجمع وشاعر الأمة العربية جمعاء أنزلته من فؤادها في الصميم وجعلته فيه بين النخبة المختارة من شعراء القرن العشرين الذين تؤثرهم بالمحبة والإعجاب .

ولئن كان الأخطل الكبير يدخل على الملوك في مجالسهم ويحظى عندهم وكان الخليفة يكرّمه وأولاد الملوك والأمراء يعظّمونه ويبجّلونه لقد حظي الأخطل الصغير عند كل ملك ورئيس وأمير بمَكْنَة حظوته عند شعوب العرب طرًّا وجاء تكريم الأمير عبد الله الفيصل آل سعود إياه متوّجاً لشاعريته كأنه الموشور الذي تنعكس منه أضواء التعظيم فزهي الأدب وافتخر الشعر والشعراء .

وكان للأخطل الكبير راوية اسمه جرير يروي شعره وينشره في الناس أما الأخطل الصغير فله جيوش من الرواة فقد سار شعره على لَهَوات المغنين يتفننون فيه تلحيناً وإنشاداً وسار على أفواه المعجبين يتناشدونه في كل مدينة وقرية وهذا منتهى ما يصبو إليه الشاعر العبقري الصدّاح .

ولكن هل تقف المشابهة بين الأخطلين عند نصرانيّتهما ومكانهما من الرؤساء . لا نظن هذا وحده هو الذي أوحى إلى بشاره الخوري بأن يتسمى بالأخطل الصغير عندما اضطرته الأحوال إلى التكتّم والاستتار فلا بد أن يكون بينهما تجاوب روحي حمل شاعر القرن العشرين على أن يختار اسم الأخطل وإننا لنلمس ذلك التجاوب في شعرهما الذي يصوّر لنا تشابه نفسيهما فكلاهما شاعر الهوى والجمال .

يتألق شعر الأخطل الكبير في كثير من قصائده بوصف شجون الفؤاد ومطارح الهوى والصبابة ولا يخلو من وصف جمال المرأة على النحو الذي كان يستسيغه ذوق العصر فالمرأة في نظره :

أَسِيلةُ مجرى الدّمعِ أمّا وشاحُها   فجارٍ وأما الحجْلُ منها فما يجري

ويظل يتعقب ذلك الجمال يبحث عنه مدفوعاً إليه بخفقان الفؤاد ونَهمَ العين لا يرتوي منه ولا يشبع فكلما سكن فؤاده حركه هوى جديد وجمال جديد :

وإذا أقولُ صحوتُ عن أدْوائِها   هاجَ الفؤادَ دُمىً أوانِسُ حُورُ

ومثل هذا التجدد في روْح القلب وريحانه يشعر به الأخطل الصغير ويسرّ به في قرارة نفسه غير أنه لا يلبث أن يصيح صيحة القوي المعتدّ بنفسه :

كفانيَ يا قلبِ ما أحملُ   أفي كلّ يومٍ هوىً أوّلُ

وإنه لدلال من الشاعر ليس إلا . . . فما صرخته هذه وما صرخته السابقة التي يتأفف فيها من حمل تبعات الهوى وحده إلا استفهام إنكاري خرج عن معناه للتقرير كما يقول البلاغيون فديوان « الهوى والشباب »

الزاخر بأمواج الحب والصبابة والمشعشع بالهوى والجمال يجعلنا لا نؤمن بهذا الاستفهام ويدفعنا إلى أن نعدّه دلالاً واعتداداً فبينا الأخطل الكبير يفرق ويرتعد من المشيب ونراه يكثر من ذكر مخاوفه ومن إعراض الغانيات عنه يوم حنى قوسه موتّرها وابيضّ بعد سواد اللمة الشعر نجد الأخطل الصغير يصرّ إصرار مكابر عنيد على أنه ابن بجدة الحب وأنه من الهوى « أمه وأبوه » وأنه حِلسُ هوًى وغرام لا يزدجر ولا يتوب خفّت به وثبة الشباب أم قعد به عجز المشيب فيندّد بالواهمين ويصيح :

كذبَ الواشي وخابْ من رأى الشّاعرَ تابْ
عمرهُ فجرٌ من الحبِّ وليلٌ من شرابْ

ويزيد إصراراً وتشبثاً بالهوى والجمال كلما لاحت له بسمة صفراء تكمن وراءها أشباح الشماتة بالشباب الذاوي والصبا الهاوي فينتفض انتفاضة الأسد الجريح ويزأر بهذه الجراح الناطقة :

أنا لا أشيّعُ بالدّموعِ صَبابتي لكن ألفُّ جَناحَها بجَناحي
من كانَ من دنياهُ ينفضُ راحَهُ فأنا على دنيايَ أقبضُ راحي
إنّي أفدّي كلَّ شمسِ أصيلةٍ حَذَرَ المغيبِ بألفِ شمسِ صباحِ

والأخطل الصغير لا يرى جمال المرأة حيث يراه الأخطل الكبير أسالةً في الخد وضموراً في الخصر وعَبلاً في الذراع والساق إنه يراه أولاً في الروح الرهيفة السامية السابحة في غمرات الضياء فوق مناكب الحسن فلا يعدلها في الأرض إلا أرواح الملائكة في السماء. ويوم يشاء أن ينظر إلى المرأة نظرة أهل الأرض نراه يرسمها كما رسمها شعراء العرب ولكن بأضواء وظلال جديدة وبطلاء جديد لا يكتفي فيه بألوان قوس قزح بل يتأنق فنه في المزج بين لون وآخر ويبتدع ألواناً جديدة هي من صنع عقله وقلبه وفنه فرسومه تلك مبثوثة في جوانب شتى من قصائده ولقد حلا له يوماً أن يجمعها في لوح واحد فكانت قصيدة « هند وأمها ».

ولقد يبرّز الأخطل الكبير في غير فن من فنون الشعر وقد يتجاوب وشاعرنا في كثير من نزعات النفس وخفقات الفؤاد ولكنه في الهوى والجمال تلميذ للأخطل الصغير ولا غلوّ. فراية شاعر بني أمية في هذا الميدان تقصّر عن راية ابن لبنان المشكوكة في أعلى قمة من جبل الوحي والإلهام فليس للأخطل الكبير على كثرة ما غنّى للهوى والجمال أفانين الأخطل الصغير ولا خفة روحه وليس له فيهما تلك المعاني التي تهزّ السامع

وتنتزع منه آهات الإعجاب وترقصه على حبال الطرب ولو كان أرسخ من صنّين حلماً ووقاراً فليس للأخطل الكبير مثل هذا الشعر المرقص المطرب :

ما كانَ أحلَى قُبلاتِ الهوَى إن كنتَ لا تذكرُ فاسألْ فَمكْ
تمرُّ بي كأنَّني لم أكنْ ثغرَكَ أو صدرَكَ أو مِعصَمكْ
لو مرَّ سيفٌ بيننا لم نكنْ نعلمُ هل أجرَى دمي أو دمكْ

وليس له مثل هذه الحكمة في الحب والعشاق :

هكذا أهلُ الغزَلْ كلما خافوا المَلَلْ أنعشُوه بالقُبَلْ

ولا له هذا الإغراء الذي يطيح برصانة القلوب وعفاف الشفاه :

ما للشِّفاهِ الكسالَى لا تزوِّدُنا فقد حَملْنا على أفواهِنا القِرَبا

ولا عرف أن يبلغ المحبين رسالات الهوى على هذا النحو اللذيذ الفاتن :

رسالةٌ من فمِهِ لِفمِها كذا رسالاتُ الهوى تُختصَرْ

وهذا هو الإعجاز في الإيجاز . وللأخطل الصغير في مثل هذه المعاني المستقاة من ينابيع الهوى والجمال ذخيرة وافرة بل كنز ثمين تجعله

أغنى شعراء الحب ثروة وأرفعهم ذروة وأوفرهم تفنّناً فهو إمام المحبين يوزّع عليهم الكاسات والأقداح ويملؤها لهم من شراب الهوى والصبابة ولا يضيره أن يكون واقعي المذهب أحياناً قاسياً على الحقيقة وعلى الحبيب معاً وأنّى يحفل بالرمز إذا هو علّ من نبع الواقع فاسمع لتلك الفراشة ماذا تقول :

فأنا بصَدْرِ حَبيبتي كفراشةٍ في قلبِ وَرْدَهْ

فلينهل ما شاء من عطر الورد فإذا ارتوى وأراد المقيل وفّر له الهوى وساداً وثيراً ناعماً جميلاً وصفه فقال :

ورَمَى الهوَى بي فارْتَمَيْتُ وكانَ نهداها المخدّه

وإمامته في الحب وسلطانه الأعلى فيه وعلمه الخفّاق في شعر الحب كل هذا يلبسه هذا الثوب من الأثرة فيرشف ما يشتهي ويتّسد حيث يشتهي غير حافل بما تحت الوساد من قلب خافق ونفس مضطربة فيحيي بن بقي الأندلسي لم يكن في مثل شجاعته عندما قال :

حتى إذا مالتْ بهِ سِنَةُ الكرَى زحزَحْتُهُ عني وكانَ معانِقِي

باعَدْتُهُ عن أضلعٍ تشتاقُهُ كيلا ينامَ على وسادٍ خافقِ

وفيمَ يتشجع الأخطل الصغير وعلام يترفق وهو الأمير المنشّر الأعلام في دولة الهوى والجمال فلئن عرف للحسن مقامه وجلاله إنه يقدر أيضاً للشعر قوته وسلطانه .

فإن صحّ أن يكون أحدهما التابع والآخر المتبوع فحريّ بأن يكون الشعر هو السيد المؤمّر وعلى هذا فمن حق الشعر أن يتيه دلالاً على الحسن ففي يديه نشر صيته وبثّ محاسنه وفي قوافيه مقاصير الخلود يسكنه إياها منعماً متفضلاً فلله شاعرنا مفاضلاً بين الشعر والحسن مكللاً جبين الشعر بغار السبق إذ يقول :

ما الحسنُ لولا الشعرُ إلا زهرةٌ يلهو بها في لحظتينِ النَّظَرُ
لـكنَّها إن أدركَتْها رقةٌ من شاعرٍ أو دمعةٌ تنحدِرُ
سالتْ دماءُ الخُلْدِ في أوراقِها ونامَ تحتَ قدَمَيْها القدَرُ

ولم تقف المشاكلة الروحية بين الأخطلين عند حدّ الهوى والجمال فقد تعدّتهما إلى بنت الكروم وإلى إبداع كل منهما في وصفها حيّةً ومقتولة .

قيل لأبي نواس ماذا تقول في شعر الأخطل قال هو إمامي في الخمر

فالأخطل الصغير إذن هو حفيد الأخطل الكبير ورث عنه حب وصف الخمر فكان له فيها آيات فإن كان الفضل للمتقدم فكم ترك الأول للآخر .

لئن تأثر الأخطل الصغير أبا نواس وسميّه حتى الأعشى الذي تداوى من الخمر بالخمر إنه اتبع فيها مذهب الخيّام الظاهر فإنما الحياة زجاجة خمر تحت غصن ظليل في قفر ووصال حبيب في هذا العمر الجديب وانتهاب فرص الشراب فالغد مجهول الحساب وفي هذا الغد المجهول يقول بشاره الخوري :

لم يكن لي غدٌ فأفرَغتُ كأسي ثم حطَّمتُها على شفَتَيَّا

ولكنه لم يذهب مذهب الخيّام فيما بعد الحياة فما طلب – بعد عمر طويل فسيح – أن يكفن بأوراق الكروم وأن يغسل بالسلاف الصرف الصافي وأن يدفن تحت دالية من دوالي العنب ولا طلب من المعرجين على قبره أن يسكبوا فوق عشبه وزهره كؤوس الحميا والمدام ولا هو حاكى أبا محجن الثقفي الأسدي القائل :

إذا متُّ فادفنّي إلى جنبِ كرْمَةٍ تروّي عظامي في المماتِ عروقها

ولا تدفنني في الفلاةِ فإنني أخافُ إذا ما متُّ أن لا أذوقها

وأنّى له أن يطلب هذا وذاك وهو زعيمٌ أن لا عطر بعد عروس ولا هوى ولا خمر بعد الأخطل الصغير أوليس هو القائل :

وُلِدَ الهوى والخمرُ ليلةَ مولدِي وسيُحملانِ معي على ألواحِي

فماذا إذن . إنها الحياة وكفى. والحياة ما هي في عرفه . إنها « صهباء صارخة وليل ضاحي » وإنها :

سكراتٌ وما تجرٌّ فلا النُّصْـــحُ بمُجْدٍ ولا الملامُ بناهِ

وإذا كان الأخطل الكبير يستعذب موت السكر ويود كلما دبّت فيه الحياة من جديد لو يعود إلى الميتة التي كان عليها ويعرب عن ميتته تلك بقوله :

شربْنا فمتْنا ميتةً جاهليّةً خلا أنّنا في موتِنا ليسَ نُلْحَدُ
ثلاثةُ أيامٍ فلما تنبهّتْ حشاشاتُ أنفاسٍ أتتنا تردّدُ
حيينا حياةً لم تكن من قيامةٍ علينا ولا حشرٌ أتاناهُ موعِدُ
وقلنا لِساقِينا عليكَ فعُدْ بنا إلى مثلها بالأمس فالعود أحمدُ

فإن الأخطل الصغير يختصر الطريق فعلامَ يتداول الإنسانَ موتٌ فبعث ثم موت فبعث وهكذا دواليك فنعمة الحياة أن يكون العمر كله سكراً متواصلاً بل تلك هي فى رأيه حكمة الدهر :

حكمةُ الدهرِ أن نعيشَ سكارى فاْجمعا لي الكؤوسَ والأوْتارا

وحكمة الدهر هذه مذهب يريد لو ينضوي تحت لوائه جميع الناس فالنفس الخيِّرة تحب أن ينتشر الخير في جميع النفوس وهكذا نفس الشاعر عندما هبّت تغري الناس بتلك الحكمة الخالدة وتحثّهم على الشراب وهي تقول :

أنا لستُ أرضَى للنَّدامَى أن أرَى كَسَلَ الهوَى وتثاؤبَ الأقداحِ
أدبُ الشّرابِ إذا المدامةُ عربَدَتْ في كأسِها أن لا تكونَ الصّاحي

• • •

تلك لمحات من شعر ديوان « الهوى والشباب » ووراءها أبواب تفضي بك إلى جنّات من الشعر حافلة بالورد والريحان زاهية بالغصون الناضرة والثمار اليانعة مزدانة بالجداول الرقراقة تعبّ منها البلابل والعنادل ثم تسجع وتغرد على منابر الأرائك فتطرب لغنائها آذان النسيم ومسامع النجوم .

ولكن هل اقتصر هذا الديوان على نغمات الصبا والصبابة . كلا . فقد بثّ فيه الشاعر ألحاناً أخرى نجدها حيناً كالحباب في كؤوس الهوى والجمال ونجدها حيناً آخر تستقل كل قصيدة منها بالكأس كلها وما تحويه من شراب ونفح وحباب . فهناك قصائد في الوطنية وفي العروبة وفي الرثاء طلعت كواكب ساطعة في سماء « الهوى والشباب » لتدل القارئ على أن وراءها سموات من الشعر مرصّعة بالشاعرية المتلألئة والرأي الثاقب والعاطفة المشبوبة والوطنية الصادقة والعروبة الصافية وتضرب له موعداً معها في الأجزاء التالية إن شاء الله .

وفي تلك الألحان التي جاءت تتساوق ونغمات الهوى والشباب يطالعنا أولاً لحن الوطن فالشاعر لبناني محتداً ومولداً ومنشأ فلا عجب أن يخصّ وطنه بنفثات الحب والهيام ويصوّر جماله الطبيعي تارة ثم يصوّر أحداثه السياسية تارة أخرى ويطلق الحمم في وجه المستعمر الغاصب وإليك جذوة صغيرة من شعوره الوطني الملتهب :

قالوا الصداقةُ قلنا أينَ شاهِدُها أعندما تلفظُ الأجداثُ موتاها
أكلّما طورِدَ الشذّاذُ في بَلَدٍ أوْما العميدُ ولبنانٌ تبنّاها

ونحنُ لو نوّلوا الأرزاء بُغيتها وأمرّوها لكنّا من رعاياها

ولم يرزأ لبنان في جهاده الطويل بالأحداث السياسية فقط بل نكبه الدهر بكثير من الأحداث الاجتماعية عصرت قلوب أبنائه وأثارت قلب الشاعر فوصف جراحات الوطن بقواف حُمر مخضبة بدماء الضحايا فاقرأ له « أنا الجاني » و « الريال المزيف » و « المهى أهدت إليها المقلتين » لتعرف أغوار الجراح الاجتماعية التي غمس بها الشاعر ريشته ثم أسال على أسلتها ذوب المآقي والأكباد .

وهناك لحن العدالة الاجتماعية تسمع منه شكوى القلوب الرحيمة من فوارق الطبقات ولبشاره الخوري في هذا وقفات تهز القلوب وحسبنا أن نجتزئ عن البحر بالوشل ونضع أمام قلبك وبصيرتك هذين البيتين :

رَبِّ هل من نطفةٍ في ولدَيْنْ خَرَجا من مصدرينِ افْترَقا
فإذا الموسرُ يُكسَى حُلّتَيْنْ بينما المعسرُ يُكسَى الخِرَقا

وهناك لحن العروبة في مشاطرة فلسطين محنتها الدامية وفي اتحاد العرب دون البغي والظلم وتآخيهم وإن اختلفوا ديناً وعقيدة :

ضجّتِ الصحراءُ تشكو عُرْيَها — فكسوْناها زئيراً ودُخانا

يثربٌ والقدسُ منذُ احتلما — كَعْبتانا وهوَى العُرْبِ هَوانا

إلى آخر ما هناك من أصوات تنحدر من مصادر الإلهام .

• • •

بشاره الخوري في ديوانه هذا شاعر غرّيد رفع الشعر الغنائي إلى أرفع أوج واستوى على عرشه وهو فيه كذلك شاعر مصوّر نثر الصور والألواح في ثنايا شعره القصصي وشعره الغنائي فكان ديوانه متحفاً للفنون الجميلة فإن كان لا بد من مثال فلنكتف بصورة المسلول :

هذا الفتى في الأمسِ صارَ إلى — رجلٍ هزيلِ الجسْمِ مُنْجَرِدِ

متجعّدِ الخدَّيْنِ من سَرَفٍ — متكسّرِ الجفنَيْنِ من سهدِ

عيناهُ عالِقتان في نفقٍ — كسراجِ كوخٍ نصفَ متقدِ

تهتزُّ أنملهُ فتحسبُها — وَرَقَ الخريفِ أُصيبَ بالبَرَدِ

يمشي بعلّتهِ على مَهَلٍ — فكأنّهُ يمشي على قصَدِ

ويمجُّ أحياناً دماً فعلى — منديلهِ قِطَعٌ من الكَبَدِ

وهو في تصويره يتفنن ويبتكر فنرى منه صوراً عربية مطعمة بألوان غربية ونرى منه صوراً عربية جديدة مشرقة فقد عرف العرب الليالي النابغية وهي ليالي الهم والسهد فابتدع هو لليالي الأنس واللهو نسباً جديداً فقال :

في مثلِ ليلاتِ «الوليـــدِ» نقولُ للكاساتِ فيضي

وطاب له أن يصف الصمت فألهمته مخيلته هذا الوصف الجميل المخيف :

صمتٌ يقرِّزُكَ فيه خَـــبُّ النَّمْلِ في مَلَسِ الرّخامِ

وهكذا لا تخلو كل قصيدة له من صور ومن أبيات شوارد تجري مجرى الأمثال في فم الزمان وسمعه .

. . .

وبعد فليست كلمتنا هذه إلا صورة خيط رفيع من أشعة الشاعرية في هذا الديوان . أما الطاقة النورانية فتتجلى وتتلألأ في أضعاف هذا الديوان نفسه تشرق من سينائه لتقول للناس إن بشاره الخوري هو شاعر الهوى والجمال . . .

عادل الغضبان



تحيّة الشِّعر

إلى حضرة صاحب السّمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل آل سعود

شاء صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل أن لا تظل هذه القصائد مطوية أو مبعثرة فمهرها مهراً كريماً ضمن لها البروز بالمظهر الذي ترى . كان ذلك عند مروره بلبنان وفي ذلك الاجتماع الذي ضم نخبة من أدباء البلد أقبلوا لتحية سموه وتكريمه . ولم أكن أعرف هذا الصديق الكبير وجهاً لوجه قبل تلك الساعة ولكنه حفظه الله سبق له أن شملني بصداقته وتأييده فما اجتمع في محفل ولا نزل في بلد إلا أسبغ ثناءه وأظهر إعجابه . وإنها لغيرة على الأدب تقابل بجزيل الشكر وأطيبه.

سَلْ مَغَاني ٱلصِّبا وتلكَ ٱلْمَلَاهي ... كم ترشّفنَ من طِلًى وَشِفَاهِ

سكَرَاتٌ وما تَجرُّ فلا ٱلنُّصْـ ... ـحُ بِمُجْدٍ ولَا ٱلْمَلام بِنَاهِ

في حِمى لِمَّةٍ مِنَ ٱلْفَاحِمِ ٱلْجَزْ ... ل وفي مَوْكِبِ الصِّبا ٱلتَّيَّاهِ

ظُنَّ ما شِئْتَ أنْ تَظُنَّ ولكِنْ ... بِأبي أنتَ لا تَسَلْنيَ ما هي

أَخَذَتنا ٱلعُيُونُ من كلِّ صَوْبٍ ... وَدَهَتنا وما أرعَوِينا الدَّوَاهي

أينَ مِنَّا لِيَنْجَلِي اللَّيْلُ عنَّا ... قَبَسٌ مِنْ جَبينِ « عَبْدِ اللهِ »

سَيِّدُ السَّيْفِ وَٱلْيَرَاعِ فلاَ ٱلعزْ مُ بِنابٍ وَلا ٱلبيانُ بِواهِ
جَدُّهُ جَدُّهُ ٱلَّذي شَيَّدَ ٱلمُلْـــكَ عَلَى مَفرِقِ النُّجُومِ الزَّواهي
قُبَّـــةٌ مِنْ مَكارِمٍ وَجِدارٌ مِنْ فَخَارٍ وعَتْبَةٌ مِنْ جِباهِ
أنتَ لِلذُّرْوَةِ المُشِعَّةِ مِنْـهُ في ٱلرَّوائيْنِ مِنْ شَبابٍ وَجَاهِ

غُرَّةَ الفَجْرِ تِلْكَ غُرَّةُ عَبْدِ ٱلـــلّهِ يَا لِلتَّوائِمِ ٱلأَشْباهِ
لَمْ يَرَ القَطْرُ وَالنَّدى مَنْ يُجارِيـــهِ وَلا ٱلزَّهْرُ وَٱلشَّذا مَنْ يُضاهي
يَتَفَيَّا نَشءُ ٱلجَزِيرَةِ مِنْهُ بِلِواءٍ من رأفَةٍ وَرَفاهِ
كلما حَلَّ رَبْوَةً مِنْ رُبَى ٱلمَجْـــدِ أَدَلَّتْ بِعِزَّةِ المُتَباهي

أيُّها ٱلنَّجْمُ من سُعُودٍ رَعَاكَ ٱلـــلّهُ ، عَوَّذْتُ مَجدكم بِٱللّهِ
هَا كَهَا طُرْفَةً يَتِيهُ بِهَا ٱلشِّعْـــرُ غَرَامَ ٱلأَسْمَاعِ وَٱلأَفْواهِ
يَتَغَنَّى بِهَا ٱلمُغَنِّي فَرُوحِي بَيْنَ أَوْتَارِهِ اللِّطافِ وَآهي

صيف ١٩٥٢

الهَوى وَالشَّبابُ

لقد صدرنا هذا الجزء بهذه القصيدة
لأننا استعرنا اسمه منها .

أَلهوى وَالشَّبَابُ وَالأَمَلُ ٱلمَنْشُودُ تُوحِي فَتَبْعَثُ ٱلشِّعْرَ حَيًّا
وَٱلهوى وَٱلشَّبابُ والأَمَلُ ٱلمَنْشُودُ ضَاعَتْ جَمِيعُهَا مِنْ يَدَيَّا

يَشْرَبُ ٱلكَأْسَ ذُو الحِجَى وَيُبَقِّي لِغَدٍ فِي قَرَارَةِ ٱلكَأْسِ شَيَّا
لَمْ يَكُنْ لِي غَدٌ فَأَفْرَغْتُ كَأْسِي ثُمَّ حَطَّمْتُهَا عَلَى شَفَتَيَّا

أَيُّها ٱلخَافِقُ ٱلمعَذَّبُ يَا قَلْبِي نَزَحْتَ ٱلدُّمُوعَ مِنْ مُقْلَتَيَّا
أَفَحَتْمٌ عَلَيَّ إِرْسَالُ دَمْعِي كُلَّمَا لَاحَ بَارِقٌ فِي مُحَيَّا

يَا حَبِيبِي لِأَجْلِ عَيْنَيْكَ مَا أَلْقَى وَمَا أَوَّلَ ٱلوُشَاةُ عَلَيَّا
أَأَنَا ٱلعَاشِقُ ٱلوَحِيدُ لِتُلْقَى تَبِعَاتُ ٱلهَوى عَلَى كَتِفَيَّا

إسْقِني مِنْ لَمَاكَ أشهى مِنَ الْخَمْـــــرِ وَنَمْ ساعةً على راحتيّا
أنا ماضٍ غداً مع الفجرِ فَاْسْكُبْ نَغَمَاتِ الْحَنانِ في أُذُنيّا

١٩٢٥



وَصْفُ فتاة

عِندالعَرب

سَكَبَ اللهُ دَمْعَةً فَإذَا هِي نَفَسُ « لَيْلَى » بِلُطْفِهَا المُتَنَاهِي
أَيُبَاهِي بِحُسْنِهِ مُتَبَاهٍ وَهْيَ لَيْلَى - وَذَاكَ قَوْلُ الإلَهِ -
صُنْعُ عَيْني وَالنَّاسُ صُنْعُ يَدَيَّا

شَعْرُها قِطْعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ وَالخَدْ قَبَّلَتْهُ شَمْسُ الضُّحَى فَتَوَرَّدْ
وَعَلَى صَدْرِهَا مَتَى تَتَنَهَّدْ مَوْجَةٌ هزَّتِ الصَّغِيرَيْنِ فِي المَهْدْ
فَاشْرَأَبَّا كَمَنْ تَخَوَّفَ شَيَّا

عِندالإفرَنج

رَقَدَتْ تَرْشِفُ الكَرَى مُقْلَتَاهَا مِثْلَمَا تَرْشِفُ العِطَاشُ المِيَاهَا
صَاعِدَاتٍ أَنْفَاسُهَا هَادِئَاتٍ كَصَلاةِ الأَطْفَالِ طُهْرٌ شَذَاهَا
تَحْلُمُ الحُلْمَ لَوْ أُوتِيَا فَتُمْلِيهِ طُهُوراً عَلَى الصِّبَا شَفَتَاهَا
وَأَزَاحَ النَّسِيمُ عَنْ صَدْرِهَا الثَّوْ بَ فَلاحَا ... وَلاَ تَقُلْ نَهْدَاهَا
شَكَّ فِي نَفْسِهِ المَلاكُ فَلا يَدْ رِي إِذَا كَانَ صَبُّهَا أَمْ أَخَاهَا

١٩١٢

رحمة رب

من قصيدة « بلغوها إذا أتيتم حماها »

لَمْ يَشُقني يومُ ٱلقيامةِ لَوْلا أَمَلي أنني هناكَ أراهَا
وَلَوَ أنَّ النعيمَ كانَ جزائي في جهادي وأُلنَّارَ كانَتْ جزَاهَا
لَملأتُ السماء شكوى غرامي فشغلتُ ٱلأبرارَ عن تقواهَا
ومَشَى ٱلحبُّ في ٱلملائكِ حتى خافَ جبريلُ منهمُ عقباهَا

قلتُ يا ربِّ أيَّ ذنبٍ جنَتْهُ أيَّ ذنبٍ لقد ظلمتَ صباهَا
أنتَ ذوَّبتَ في محاجرِها السّحْـــرَ ورَصّعْتَ باللآلئ فاهَا
أنتَ عسّلْتَ ثغرَها فقلوبُ ٱلـــنّاسِ نحلٌ أكامُها شفتاهَا

رَحْمَةً ربِّ لستُ أسألُ عدْلاً ربِّ خُذْني إن أخطأتْ بخطاهَا
دعْ سُليْمى تكونُ حيثُ تراني أو فدعْني أكونُ حيثُ أراهَا

أينَ عيناكَ

أيُّها الغائبُ الّذي في فؤادي　　حاضرٌ كيفَ حالُ قلبِكَ بعدي

أينَ عيناكَ ، تنظُراني وكفِّي　　فوقَ قلبي ومدمعي فوقَ خدِّي

هائماً في الظّلامِ يلذعُ حرُّ الـ　　ـوجدِ قلبي ويلذعُ البردُ جلدي

شبحٌ طائفٌ كستهُ يدُ اللّيـ　　ـلِ ببُردٍ كوجهِهِ مُسوَدِّ

بيدَ أنّي لو شئتُ ما اعترفَ اللّيـ　　ـلُ بسُهدي ولا اعترفتُ بوجدي

ولَما هزَّ صفعُ نعلِيَ للأرْ　　ضِ سكونَ الظّلامِ إذ جدَّ جدّي

ولَما استلَّني الشّقاءُ حُساماً　　في نهاري وصيَّرَ اللّيلَ غمدي

ولَما حيَّرَ الكواكبَ منّي　　زفراتٌ كشُهبِها ذاتُ وقدِ

همستْ نجمةٌ بأذنِ أخيها　　همسَ ثغرِ النّدى بمسمعِ وردِ

ما ترى يا أُخيَّ شخصاً على الغبـ　　ـراءِ يمشي لكنْ على غيرِ قصدِ

مِثْلَ قَايِينَ بَعْدَ قَتْلِ أَخِيهِ ... يَقْطَعُ الأَرْضَ بَيْنَ رَهْوٍ وَوَخْدِ
خَافِقَ القَلْبِ كَالأَثِيمِ عَلَى النَّطْـــعِ يَرَى المَوْتَ لاَمِعاً فِي الفِرِنْدِ
لَهْفَ نَفْسِي فَقَلْبُهُ مِثْلُ قَلْبِي ... يَتَلَظَّى وَسُهْدُهُ مِثْلُ سُهْدِي
أَيُّ شَيْءٍ فِي النَّاسِ هَذَا أَفِيهِ ... لَكَ قَبْلاً أُخَيَّ سَابِقُ عَهْدِي؟

حَفِظَ اللهُ قَلْبَ أُخْتِي مِنَ الحُـــبِّ فَهَذَا فِي الحُبِّ أَصْغَرُ عَبْدِ

١٩١٢



قلتُ أهْواكِ يا ملاكي

أتُرَى يَذْكُرُونَهُ أَمْ نَسُوهُ   هُمْ سَقَوهُ الْهَوَى وَهُمْ أَسْكَرُوهُ
عَلَّلُوهُ فَكَانَ أَقْتَلَ شَيْءٍ   ذَلِكَ الصَّدُّ بَعْدَ مَا عَلَّلُوهُ
عَمْرَكَ اللهَ هَلْ عَرَفْتَ فُؤاداً   كَفُؤادِي عَلَيْهِ جَارَ ذَوُوهُ
لَيْتَهُمْ يَذْكُرُونَ لَيْلَةَ كُنَّا   وَالْهَوَى نَحْنُ أُمُّهُ وَأَبُوهُ
وَعُيُونُ النُّجُومِ تَرْنُو إِلَيْنَا   وَلِسَانُ الدُّجَى يَكَادُ يَفُوهُ
وَالنَّسِيمُ الْخَفِيفُ يَلْهُو بِثَوْبَيْنَا   كَطِفْلٍ أَهْلُوهُ مَا هَذَّبُوهُ
وَرَشَفْنَا كَأْسَ الْحُمَيَّا فَبَاحَتْ   بِالَّذي فِي الصُّدُورِ مِنَّا الْوُجُوهُ

قُلْتُ أَهْوَاكِ يَا مَلاكِي فَرَدَّتْ   مُقْلَتَاهُ لَكِنْ تَلَعْثَمَ فُوهُ

صَدّاح !

صدّاحُ يا مُؤْنِسَ هذا الأراكْ، مالي أراكْ تشدُو فسبحانَ الَّذي قد بَرَاكْ

تَسْتَقْبِلُ الفَجرَ بصوتٍ رَخيمْ يُحْيي الرَّميمْ

وتَلْثُمُ الزَّهرَ بِثغرٍ بَسيمْ لَثْمَ النَّسيمْ

أمَا ومَنْ جَوْهَرَ بالسِّحرِ فاكْ، حينَ اصطفاكْ لم يصفُ هذا الرَّوضُ لولا صَفاكْ

صفِّقْ كما شِئْتَ بهذا الجَناحْ فلا جُناحْ

وَشُمَّ خدَّ الزَّهَراتِ الصِّباحْ فَهْوَ مُباحْ

فالرَّوضُ لم يختَرْ مليكاً سواكْ، فانْشرْ لواكْ فكلُّنا مُجاهِدٌ في هَوَاكْ

مُرْ هذهِ الأطيارَ أنْ تُنشِدَا فتُنْشِدَا

مُرْ هذهِ الأقمارَ أنْ تَسْجُدَا فتَسْجُدَا

وبعدُ فافعَلْ ما تَشا في فتاكْ، فشَفَتاكْ حَسْبي فماذا تَبْتَغي مُقلتاكْ

١٩١٢

العُيُون

الأبيات الموضوعة بين قوسين صغيرين معربة
حرفيا عن الشاعر الفرنسي سوللي بريدوم .

أَيْنَمَا كُنْتِ كَانَ لِلْكَهْرَبَاء أَثَرٌ في ٱلنُّفُوسِ وَٱلْأَهْوَاء
مَا عَجِيبٌ وَمُقْلَتَاكِ ظَلَامٌ أَنْ تَكُونَا مُسْتَوْدَعًا لِلضِّيَاء
تَنْسُجَانِ ٱلْحَيَاةَ حِيناً وَحِيناً تَنْسُجَانِ ٱلْمَمَاتَ لِلْأَحْيَاء

« يَا عُيُونًا وَلَسْتُ أُفَرِّقُ فِيهَا بَيْنَ زُرْقِ ٱلْعُيُونِ وَٱلسَّوْدَاء »
لَيْسَ فِيهَا إِذَا ٱعْتَلَتْ فَوْقَ عَرْشِ ٱلْـخَدِّ غَيْرُ ٱلْمَلِيحَةِ ٱلْحَسْنَاء
آمِرَاتٌ كَأَنَّهَا وَارِثَاتُ ٱلْـمُلْكِ مِنْ عَهْدِ أُمِّنَا حَوَّاء
فَكَأَنَّ ٱلْقُلُوبَ بَعْضُ عَبِيدٍ وَكَأَنَّ ٱلنُّفُوسَ بَعْضُ إِمَاء

« بَعْضَ هَذَا فَكَمْ عُيُونٍ حِسَانٍ كَمْ عُيُونٍ شَاهَدْنَ وَجْهَ ذُكَاء »
« غِبْنَ فِي ٱلْقَبْرِ بَيْنَمَا ٱلشَّمْسُ لَا تَنْـفَكُّ تَجْرِي فِي ٱلْقُبَّةِ ٱلزَّرْقَاء »

« كَمْ لَيَالٍ أَرَقَّ مِنْ وَجْنَةِ الْفَجْـــرِ وَأَحلَى مِنْ مَبْسِمِ الْعَذْرَاءِ »
« شَاهَدَتْهَا الْعُيُونُ مُنْبَهِرَاتٍ بِلآلِي نُجُومِهَـا الزَّهْرَاءِ »

«لا. سَتَبْقَى تِلْكَ الْعُيُونُ وَيَبْقَى مَا بِتِلْكَ الْعُيُونِ مِنْ لأْلاءِ »
« أَفَتَفْنَى ؟ كَلاَّ. لَتَعْجِزُ عَنْهَا وَهْيَ رَمْزُ الْحَيَاةِ كَفُّ الْفَنَاءِ »
« لَفَتَتْ عَنْكَ فِي الثَّرَى نَاظِرَيْهَا نَحْوَ مَا لا تَرَاهُ عَيْنُ الرَّائِي »

«هَلْ رَأَيْتَ النُّجُومَ تَغْرُبُ فِي الأُفْــــقِ وَتَبْقَى مُقِيمَةً فِي السَّمَاءِ »
« هَـكَذَا تَغْرُبُ الْعُيُونُ وَتَبْقَى فِي سَمَاءِ الْحَيَاةِ ذَاتَ سَنَاءِ »

« إِنَّ تِلْكَ الْعُيُونَ زُرْقاً وَسُوداً فِي خُدُودِ الْمَلِيحَةِ الْهَيْفَاءِ »
« أَبَداً لَا تَزَالُ مُنْفَتِحَاتٍ فِي فَسِيحٍ مِنَ الضُّحَى الْوَضَّاءِ »
« فَهْيَ إِنْ أُغْمِضَتْ فَمِنْ جَانِبِ الْقَبْــــرِ سَتَرْنُو لِجَانِبٍ فِي الْفَضَاءِ »

يَا حِسَانَ ٱلْعُيُونِ لُطْفاً ورِفقاً بِقُلُوبِ ٱلْخَلَائِقِ ٱلْأَبْرِيَاء

كُلُّ شَيْءٍ لَهُ زَوَالٌ وَيَبْقَى بَعْدَ هَذَا ٱلزَّوَالِ حُسْنُ ٱلثَّنَاء

أنتِ رَمْزُ ٱلْحَيَاةِ أَنْتِ حَيَاةُ ٱلـرَّمْزِ سِرُّ ٱلشَّقَاء سِرُّ ٱلْهَنَاء

هِبَةُ ٱللهِ لِلْجَمَالِ وَنُعْمَى هَبَطَتْ مِنْ عَلٍ عَلَى ٱلشُّعَرَاء

١٩١٤



مَاذا أقولُ لهُ

معربة بتصرف عن الشاعر مترلنغ .

مَاذَا أَقُولُ لَهُ إِذَا رَجَعَا يَوْماً وَلَمْ يُبْصِرْكِ فِي ٱلْقَصْرِ

— مَاتَتْ عَلَيْكَ أَسًى ، أَجِيبِيهِ

وإِذَا رَأَيْتُ ٱلحُزْنَ مُنْطَبِعًا فِي وَجْهِهِ ٱلذَّاوِي مِنَ ٱلْقَهْرِ

— كُونِي لَهُ أُخْتاً وَعَزِّيهِ

وَإِذَا تَرَقَّقَ لِي لِيَسْتَمِعَا مَا قُلْتِ سَاعَةَ نَزْعِكِ ٱلْمُرِّ

— قُولِي لَهُ ٱبْتَسَمَتْ فَتُسْلِيهِ

وَإِذَا أَرَادَ بِأَنْ نَسِيرَ مَعَا لِلْقَبْرِ كَيْ يَبْكِي عَلَى ٱلْقَبْرِ

— رُحْمَاكِ إِنَّ ٱلدَّمْعَ يُؤْذِيهِ

١٩١٤

آه يا هِنْدُ لو ترين

نقلتها جريدة السائح التي تصدر في نيويورك وقد اقترحت على الشعراء معارضتها فعارضها كل من الشاعرين: «القروي» وندره حداد .

آهِ يَا هِنْدُ لَوْ تَرَيْنْ مَوْقِفِي بَيْنَ حَائِطَيْنْ
لا بِجِيرَانٍ أَخْرَسَيْنْ وَعَلَى ٱلْخَدِّ دَمْعَتَيْنْ

لَوْ تَرَيْنْ

أَنْصَفَ ٱللَّيْلُ وَٱلْأَنَامْ كُلُّهُمْ كُلُّهُمْ نِيَامْ
وَأَنَا يَشْهَدُ ٱلْغَرَامْ بِتُّ لِلسُّهْدِ نَاظِرَيْنْ

غَالِيَيْنْ

أَبَداً سَاهِرٌ كَئِيبْ لَا صَدِيقٌ وَلَا حَبِيبْ
وَمَعَ ٱللَّيْلِ لِي نَحِيبْ كَنَحِيبِ ٱلْحَمَامَتَيْنْ

بَعْدَ بَيْنْ

وَلَقَدْ خَيَّمَ ٱلسُّكُونْ وَنُجُومُ ٱلسَّمَا عُيُونْ

فتمنّيتُ أنْ نكونْ في سَما الحُبِّ نجمتينْ

جارتينْ

ليتنا والهوى أمانْ بالجناحينِ طائرانْ

كلّما ضمّنا مكانْ ضمَّ قلبينْ عاشقينْ

سائحينْ

يا لأحلاميَ العذابْ ذابلاتٍ معَ الشّبابْ

فكأنَّ المنى ضبابْ يتلاشى بنفختينْ

إثنتينْ

لمْ يعدْ في السّراجِ زيتْ وكما ينطفي انطفيتْ

فأنا الآنَ مثلُ ميتْ مالهُ غيرُ ساعتينْ

لوْ ترينْ

١٩١٤

هِنْدٌ وَأُمُّها

أَتَتْ هِنْدُ تَشْكُو إِلى أُمِّهَا فَسُبْحانَ مَنْ جَمعَ ٱلنَيِّرَيْنْ
فَقالَتْ لَهَا — إِنَّ هٰذا الضُّحَى أَتانِي وَقَبَّلَنِي قُبْلَتَيْنْ
وَفَرَّ فَلمَّا رَآني ٱلدُّجى حَبانِيَ مِنْ شَعْرِهِ خُصْلَتَيْنْ
وَمَا خَافَ يا أُمِّ بَلْ ضَمَّنِي وَأَلْقَى عَلَى مَبْسِمِي نَجْمَتَيْنْ
وَذَوَّبَ مِنْ لَوْنِهِ سائلاً وَكَحَّلَنِي مِنْهُ في ٱلْمُقْلَتَيْنْ
وَجِئْتُ إِلى الرَّوْضِ عِنْدَ ٱلصَّباحِ لِأَحْجُبَ نَفْسِيَ عَنْ كُلِّ عَيْنْ
فَنادَانِيَ ٱلرَّوْضُ يا رَوْضَتِي وَهَمَّ لِيَفْعَلَ كَالْأَوَّلَيْنْ
فَخَبَّأْتُ وَجْهِي ولٰكِنَّهُ إِلى ٱلصَّدْرِ يا أُمِّ مَدَّ ٱلْيَدَيْنْ
وَيا دَهْشَتِي حِينَ فَتَّحْتُ عَيْنِي وشَاهَدْتُ فِي ٱلصَّدْرِ رُمَّانَتَيْنْ
وَمازَالَ بِي ٱلْغُصْنُ حَتَّى ٱنْحَنَى عَلَى قَدَمِي سَاجِداً سَجْدَتَيْنْ
وَكَانَ عَلَى رَأْسِهِ وَرْدَتانِ فَقَدَّمَ لِي تَيْنِكَ ٱلوَرْدَتَيْنْ

وَخِفتُ مِنَ ٱلْغُصْنِ إذْ تَمتَمَتْ بِأُذْنِي أَوْرَاقُهُ كِلْمَتَينْ

فَرُحْتُ إِلَى ٱلْبَحْرِ لِلإِبْتِرَادِ فَحَمَّلَنِي وَيْحَهُ مَوْجَتَينْ

فَمَا سِرْتُ إِلَّا وَقَدْ ثَارَتَا بِرِدْفِيَّ كَالْبَحْرِ رَجْرَاجَتَينْ

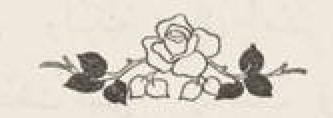
هُوَ ٱلْبَحْرُ يَا أُمُّ كَمْ مِنْ فَتًى غَرِيقٍ وَكَمْ مِنْ فَتًى بَيْنَ بَينْ

فَهَا أَنَا أَشْكُو إِلَيْكِ ٱلْجَمِيعَ فَبِٱللهِ يَا أُمُّ مَاذَا تَرَينْ

فَقَالَتْ، وَقَدْ ضَحِكَتْ، أُمُّهَا وَمَاسَتْ مِنَ ٱلْعُجْبِ فِي بُرْدَتَينْ

عَرَفْتُهُمُ وَاحِداً وَاحِداً وَذُقْتُ ٱلَّذِي ذُقْتِهِ مَرَّتَينْ

١٩١٤





. . . ولما رآني الدجى حباني من شعره خصلتين
وما خاف يا أم بل ضمني وألقى على مبسمي نجمتين

(صفحة ٤٧)



الصّوت موهبة السّماء

قالها على أثر صدور الأمر بإقفال جريدته.

يا هندُ قد أَلِفَ الْخَميلةَ بلبلٌ يَشْدُو فتصطفِقُ الغصونُ وتطرَبُ
هُوَ شاعرُ الْأطيارِ لا مُتكبِّرٌ صَلِفٌ ولا هُوَ بالأمارةِ مُعْجَبُ
تَتَعشّقُ الْأَزهارُ عذبَ غِنائِهِ فإذا شدَا فبكلِّ ثغرٍ كوكبُ
وَالْغصنُ وَالْأوراقُ آذانٌ لهُ ماذا ترى فيها النَّسيمُ يُتَبْتِبُ
وإذا الضُّحى لمعتْ بوارقُ ثغرِهِ نادى بِأَجْنادِ الطّيورِ تأهّبُوا
فَسَمِعْتَ للأطيارِ موسيقى عَلى نغماتِها يأتي النّهارُ ويذهبُ
وَالصّوتُ مَوْهِبَةُ السّماءِ فطائرٌ يَشْدُو على غُصُنٍ وَآخَرُ يَنْعَبُ

يا هندُ إنّي كالْهزارِ فإنْ يَكُنْ هُوَ مُذْنِباً فأنا كذلكَ مُذْنِبُ

١٩١٢

كَيفَ أنسى[١]

كَيفَ أنساكِ يا خيالاتِ أمسي ذِكرياتُ الصِّبا وأحلامُ نفسي
كَيفَ أنسى الأيّامَ صفواً وأُنسا كَيفَ أنسى

مَيُّ هلّا ذكرتِ تلكَ السِّنينا بِأبي أنتِ كيفَ لا تذكُرينا
«كمْ نشقْنا تُقى هُناكَ وقُدْسا» كَيفَ أنسى

أفلا تذكُرينَ ذاكَ الغَديرا والأفانينَ حولَهُ والزُّهورا
«والسُّنونو يُحدِّثُ الماءَ همْسا» كَيفَ أنسى

أفلا تذكُرينَ عِندَ المَغيبِ يومَ وافتْ «سلمى» كطَيرٍ غريبِ
فأرتْنا إذ غابَتِ الشَّمسُ شَمْسا كَيفَ أنسى

يَوْمَ كُنَّا فِي الحَقلِ نَمرَحُ زَهوًا   وَسُلَيمى مَعَنا وَهِندٌ وَسَلوى
فَصَرَفنا النَّهارَ قَطفًا وَغَرْسا   كَيفَ أَنْسى

يَوْمَ كُنَّا نَقرا هِجاءَ «وَكَرْجا»   وَسُلَيمى تَمحُو الأَساطِرَ غُنْجا
وَهيَ تُملِي عَلَيَّ فِي الحُبِّ دَرْسا   كَيفَ أَنْسى

يَوْمَ سَمَّى الرِّفاقُ سَلمى العَرُوسا   وَأَرادُوا بِأَنْ أَكُونَ «العَرِيسا»
فَاعتَنَقنا وَقَدْ جَعَلْناهُ عُرْسا   كَيفَ أَنْسى

كَيفَ أَنْسى وَقَدْ كَبِرْنا قَلِيلا   وَذَكَرْنا ما كانَ ذِكْرًا جَمِيلا
وَعَرَفنا الدُّنْيا نَعِيمًا وَبُؤْسا   كَيفَ أَنْسى

لَسْتُ أَنْسى ما عِشْتُ يَوْمَ الفِراقِ   وَجِراحًا حُمْرًا بِتِلكَ المَآقي
وَبُكاها وَقَوْلَها سَوْفَ تَنْسى   كَيفَ أَنْسى

مَنْ مُعِيدٌ إليَّ ذاكَ الزَّمانا   وَمُعِيدٌ سَلْمَى إليَّ ٱلآنا
لِترَى أنَّنِي وقَدْ مُتُّ يَأْسا   لَسْتُ أنْسَى

١٩١٤



فِدًى لِلبنانِ نفسِي

من قصيدة قالها عندما تقدم بعض اللبنانيين سنة ١٩١٤ من الدولة العثمانية بمطالب الإصلاح .

فدًى لِلُبْنانَ نَفْسي وَصَبْوَتي وَغَرامِي
لِمَنْبِتِ الشِّيحِ فيهِ وَمَسْرَحِ الآرامِ
هُناكَ سِينا التَّجَلِّي وَمَهْبِطُ الإِلْهامِ

. . . .

يا سائِلي عَنْ بَنيهِ سَأَلتَ نَفْسَ حَذامِ
لكِنْ إِذا رِشْتُ سَهْمي فَجارِحاتي سِهامي
قالوا (المَطالِب) لكِنْ ماذا جَنَوا في الخِتامِ
أَتَتْ نَواقِصَ وَالحُسْنُ كُلُّهُ في التَّمامِ
مَتى أَراكُمْ تَكُرُّونَ كَرَّةً لِلأَمامِ
وَتَلْبَسُونَ إِلى الحَقِّ خُوذَةَ الإِقْدامِ
وَتَدْرُسُونَ عَلى المَجْدِ كُرْهَ الاسْتِرْحامِ

عَيْشُ ٱلْكِرَامِ مِنَ ٱلنَّا ... سِ غَيْرُ عَيْشِ ٱللِّئَامِ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَلَامَةَ ٱللُّوَّامِ

. . . .

مَجْدُ ٱلسِّنِينَ ٱلْخَوَالِي لَا يُسْتَبَاحُ بِعَامِ



أنا لو كنتُ يا سُليمى

مقتبسة عن الإفرنسية .

أنا لَوْ كُنتُ يا سُلَيمى نَسِيماً لَقطَعْتُ ٱلرُّبى وَجُبْتُ ٱلسُّهولا
وَحمَلتُ ٱلهوى إليكِ جريحاً وَترامَيتُ في يَديكِ عليلا
غَيرَ أنّي كَما علمتِ ضَعيفٌ حَمّلَتهُ ٱلأيّامُ عِبئاً ثقيلا
إنّ ما يقدِرُ ٱلنّسيمُ عَليهِ بَاتَ صَعْباً عليَّ بلْ مُستحيلا

أنا لَوْ كُنتُ يا سُلَيمى خَيالاً لَطَوَيتُ ٱلآفاقَ ميلاً فَميلا
وٱنتزَعتُ ٱلنُّجومَ أنظِمُها عِقْداً وإنْ شِئتِ صُغتُها إكليلا
غَيرَ أنّي وإنْ أكُنْ ذا جَناحٍ فَجَناحي بِٱلدَّمعِ باتَ بَليلا
إنَّ ما يَقدِرُ ٱلخيالُ عَليهِ بَاتَ صَعْباً عليَّ بلْ مُستحيلا

فراشة في وردة

رَضِيتْ وَقَدْ ذَهَبَ ٱلْجَــفَا ... وَكَذَا ٱلْهَوَى لِينٌ وَشِــدَّهْ
وَتَبَسَّمَتْ فَعَلِمْتُ أَنْ ... رَجَعَتْ لَنَا تِلْكَ ٱلْمَوَدَّهْ
وَرَمَى ٱلْهَوَى بِي فَٱرْتَمَيْــــتُ وَكَانَ نَهْدَاهَا ٱلْمِخَدَّهْ
فَأَنَا بِصَــدْرِ حَبِيبَتِي ... كَفَرَاشَــةٍ فِي قَلْبِ وَرْدَهْ

مَدَدُ ٱللهِ مَدَد

وَقْفَةٌ كَانَتْ لَنَا يَومَ النَّوَى ... صِحتُ فِيهَا مَدَدُ اللهِ مَدَدْ
وَلَقَدْ كُنَّا وَمَا كُنَّا سِوَى ... مِثْلَمَا يَستجمعُ العينينِ خَدْ
أَو جَنَاحَيْ طَائِرٍ رَوَّعَهُ ... شَرَكُ الصَّيَّادِ يوماً فَشَرَدْ

لجام الأدب

تثنّتْ فيا خجلتا للغصون   وغنّتْ فيا خجلتا للقصبْ
وجالتْ على صدرِها موجةٌ   فهاجَ لها نهدُها واضطربْ
يهمُّ ليسبقَها بالوثوبِ   فتلجمُهُ بلجامِ الأدبْ

غيرة

ألغرامُ   مجمرةٌ   والترائبُ   الشررُ
لا ينامُ   صاحبُهُ   فهوَ خائفٌ   حذرُ
غفوةٌ   يحاولُها   والظنونُ   تنتهرُ

بهذه المقاطع ينتهي ما اختاره الشاعر من قصائد المرحلة الأولى وضعاً وتعريباً واقتباساً لغاية سنة ١٩١٤ ليبدأ بالقصائد التي نظمها خلال الحرب العالمية الأولى إلى ما بعد ذلك .

الرَّيالُ المُزَيَّف

وقعت هذه الحادثة في أوائل السنة الثانية من الحرب العالمية الأولى فأفرغها الشاعر في هذه القصيدة .

وَيحَ ٱلفَقِيرِ فَمَا تَرَاهُ يُلاَقِي سُدَّتْ عَلَيهِ مَنَافِذُ ٱلأَرْزَاقِ
عَصَفَتْ بِهِ وَبِسِرْبِهِ رِيحُ ٱلشَّقَا فَتَسَاقَطُوا كَتَسَاقُطِ ٱلأَوْرَاقِ
فَإِذَا بَصُرْتَ بِهِ عَجِبْتَ لِشَمْعَةٍ كَالزَّعفَرَانِ تَجُولُ فِي ٱلأَسْوَاقِ
عَلَقُ ٱلمَجَاعَةِ مَصَّ بَعْضَ دِمَائِهِ وَتَعَسُّفُ ٱلحُكَّامِ مَصَّ البَاقِي

أَخَذَ ٱلشَّقَا يَدَهَا فَسَارَتْ خَلْفَهُ وَٱللَّيلُ مَمْدُودٌ عَلَى ٱلآفَاقِ
سَارَتْ، فَمَاسَ ٱلخَيزُرَانُ بِقَدِّهَا وَرَنَتْ،فَذَابَ ٱلسِّحْرُ فِي ٱلأَحْدَاقِ
وَتَلُوحُ آثَارُ ٱلنَّعِيمِ بِخَدِّهَا كَٱلفَجْرِ قَبلَ تَكَامُلِ ٱلإِشْرَاقِ
أَخَذَ ٱلشَّقَا يَدَهَا فَإِنْ هِيَ فَكَّرَتْ بِمَصِيرِهَا صُعِقَتْ مِنَ ٱلإِشْفَاقِ
وَوَهَتْ عَزِيمَتُهَا فَأَلقَتْ نَفْسَهَا فَوقَ ٱلثَّرَى وَشَكَتْ إِلى ٱلخَلَّاقِ
تَشْكُو بِمَدْمَعِهَا وَذُلِّ فُؤَادِهَا وَبِمَا تُحِسُّ بِهِ مِنَ ٱلإِحْرَاقِ

يَا رَبِّ . قَالَتْ وَهْيَ جَاثِيَةٌ لَهُ   إِنْ شِئْتَ حُلَّ مِنَ الْحَيَاةِ وِثَاقِي

قَدْ عِشْتُ عُمْرِي مَا عُرِفْتُ بِرِيبَةٍ   وَعَبَدْتُ بَعْدَكَ عِفَّتِي وَخَلَاقِي

وَالْآنَ وَالْأَيَّامُ مَلْأَى بِالْأَذَى   قَدْ أَصْبَحَتْ وِقْرًا عَلَى الْأَعْنَاقِ

زَوْجِي يُحَارِبُ فِي التُّخُومِ وَطِفْلَتِي   فَوْقَ الْفِرَاشِ تَزِيدُ فِي إِرْهَاقِي

مِنْ أُمِّهَا تَبْغِي الْغِذَاءَ لِجِسْمِهَا   مِنْ أُمِّهَا تَبْغِي الدَّوَاءَ الْوَاقِي

وَطَرَقْتُ أَبْوَابَ الْكِرَامِ فَأَوْصَدُوا   أَبْوَابَهُمْ فَرَجَعْتُ بِالْإِخْفَاقِ ...

سَامَ الْفَتَى عِرْضِي فَيَا لَكَ مِنْ فَتًى   كَاسِي الْغِنَى عَارٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ

هَبْ أَنَّ أُخْتَكَ وَالزَّمَانُ أَصَابَهَا   مِثْلِي أَصَابَتْ سَافِلَ الْأَعْرَاقِ

أَفَكَانَ سَرَّكَ أَنْ تَرَى إِحْسَانَهُ   ثَمَنَ الْعَفَافِ لِضَمَّةٍ وَعِنَاقِ

خَفِّفْ عَلَى عُنُقِي الضَّعِيفَةِ وَاتَّئِدْ ،   إِنِّي رَأَيْتُكَ آخِذًا بِخِنَاقِي

إِنَّ الرِّيَالَ غِنًى وَلَكِنْ عِفَّتِي   فَوْقَ الْغِنَى وَنَفَائِسِ الْأَعْلَاقِ

أَأَصُونُ عِرْضِي؟ وَابْنَتِي؟ وَحَيَاتُهَا   وَعِلَاجُهَا يَحْتَاجُ لِلْإِنْفَاقِ

أَنَا إِنْ أَعِفَّ قَتَلْتُهَا فَعَلَامَ لَا تَحْيَا بِمَاءِ تَعَفُّفِي ٱلْمُهَرَاقِ
لَا . لَا تَمُوتُ فَإِنَّهَا لَبَرِيئَةٌ حَسْنَاءُ مَا شَبَّتْ عَنِ ٱلْأَطْوَاقِ
إِنِّي مُفَارِقَةٌ ٱبْنَتِي أَوْ عِفَّتِي فَعَلَى كِلَا ٱلْحَالَيْنِ مُرُّ فِرَاقِ
وَٱلذَّنْبُ لِلْأَيَّامِ فِي حَدَثَانِهَا وَٱلذَّنْبُ لِلْأَخْلَاقِ غَيْرَ رَوَاقِي

رَبَّاهُ حِلْمَكَ فَالْمَصَائِبُ جَمَّةٌ وَأَنَا بِوَاحِدَةٍ يَضِيقُ نِطَاقِي
لَوْ شِئْتَ مَوْتًا لِابْنَتِي لَأَخَذْتَهَا وَجَعَلْتَ طُهْرِي قُدْوَةً لِرِفَاقِي
لَـكِنْ أَرَدْتَ بَقَاءَهَا وَأَرَدْتَ لِي فَقْرِي . أَتُظْمِئُنِي وَأَنْتَ السَّاقِي ؟
سَتَعِيشُ بِنْتِي وَلْيَكُنْ مَا شِئْتَهُ سَتَعِيشُ ... لَـكِنْ مِنْ لُهَى الْعُشَّاقِ
وَمَشَتْ لِمَوْعِدِهِ بِمَاءِ جُفُونِهَا الْـقَرْحَى وَجَمْرِ فُؤَادِهَا الْخَفَّاقِ
لَوْ صَوَّرُوا اللُّؤْمَ الذَّمِيمَ فَمَثَّلُوا « ذَاكَ الْفَتَى » عُدُّوا مِنَ الْحُذَّاقِ
تَرْعَى السَّفَالَةُ فِي مَجَاهِلِ قَلْبِهِ وَتُطِلُّ إِنْ شَبِعَتْ مِنَ الْآمَاقِ
وَمَتَى يُحَاوِلْ حَجْبَ مَكْنُونَاتِهِ يُلْبِسْ مُحَيَّاهُ حِجَابَ نِفَاقِ
قَنَصَ الْفَتَاةَ بِفَقْرِهَا وَشَقَائِهَا « وَبِمَا تُكَابِدُ مِنْ أَسًى وَتُلَاقِي »

حَتّى إذا اختليا أُنثى بوصالِها وَقدِ انثنتْ بِريالِهِ البرّاقِ

رجعتْ وفي يدِها الريالُ ورأسُها لِحيائِها مُتواصِلُ الإطراقِ
وكأنّها خطرتْ لها ابنتُها وما تلقاهُ مِنْ ألمِ الطّوى المِقلاقِ
فأصابها مِثلُ الجنونِ فتمتمتْ بُشراكِ إنّي عُدتُ بالتِّرياقِ
هوذا الريالُ فإنّهُ نِعمَ الذي يَهَبُ الشّفاءَ لنا ونِعمَ الرّاقي
هوذا الريالُ وقدْ تألّقَ ماحِقٌ دُجنَ الهُمومِ وقدْ أرَدْنَ مُحاقي
هوذا الريالُ ولمْ يكنْ لولا ابنتي لِيَسومَني نُكرًا على الإطلاقِ

ومضتْ إلى الطّبّاخِ تُلجِمُ ما بِها لِفتاتِها مِنْ لاعِجِ الأشواقِ
قالتْ – وأدّتْهُ الريالَ – ألا اعطِني بعضَ الغِذا وارْدُدْ عليَّ الباقي
أسرِعْ فإنّكَ إنْ تُؤخِّرْني تذُقْ مِنْ جوعِها بِنتي أمرَّ مذاقِ

نقفَ الريالَ بإصبعيهِ وجسَّهُ وانهالَ بالإرعادِ والإبراقِ

قُبحًا لِوَجْهِكِ... سَيِّدي أتَسُبُّني عَفْواً وَتَحْسَبُني مِنَ ٱلسُّرَّاقِ ؟
ـ لا. فالرِّيالُ مُزَيَّفٌ.. ـ أمُزَيَّفٌ ؟ صَاحَتْ وَقَدْ سَقَطَتْ مِنَ ٱلإرْهَاقِ

سَقَطَتْ عَلَى قَدَمِ ٱلشَّقَا فَبَكَتْ لَهَا عَيْنُ ٱلْعُلَى وَمَكارِمُ ٱلأخْلاَقِ
وَبَكَى عَفَافُ الآنِسَاتِ عَفَافَهَا خَلَلَ السُّجُوفِ بِمَدْمَعٍ مُهْرَاقِ
يَا طَيْرَ عِفَّتِهَا فَدَيْتُكَ طَائِراً هَلَّا حَذِرْتَ حَبَائِلَ الفُسَّاقِ

طَلَعَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ وَهْيَ سَجِينَةٌ وَفَتَاتُهَا ضَيْفٌ عَلَى الأسْوَاقِ
أمَّا الأثِيمُ فَلاَ تَزَالُ شِبَاكُهُ مَنْصُوبَةً لِنَوَاعِسِ الأحْدَاقِ
يُسْقَى الرَّحِيقَ بِأكْؤُسٍ وَلَوَاحِظٍ وَاللهُ يَكْلاَ ـ « وَهُوَ نِعْمَ الْوَاقِي »

١٩١٦

قلبٌ خافِق

مقتبسة عن الإفرنسية

أنا ساهِرٌ والكونُ نا مَ وكُلُّ ما في الكونِ نامْ
نامَ الجميعُ ومُقلتي يَقظى تجولُ مع الظلامْ
حتّى نجومُ الأُفقِ نا مَتْ فوقَ طيّاتِ الغمامْ

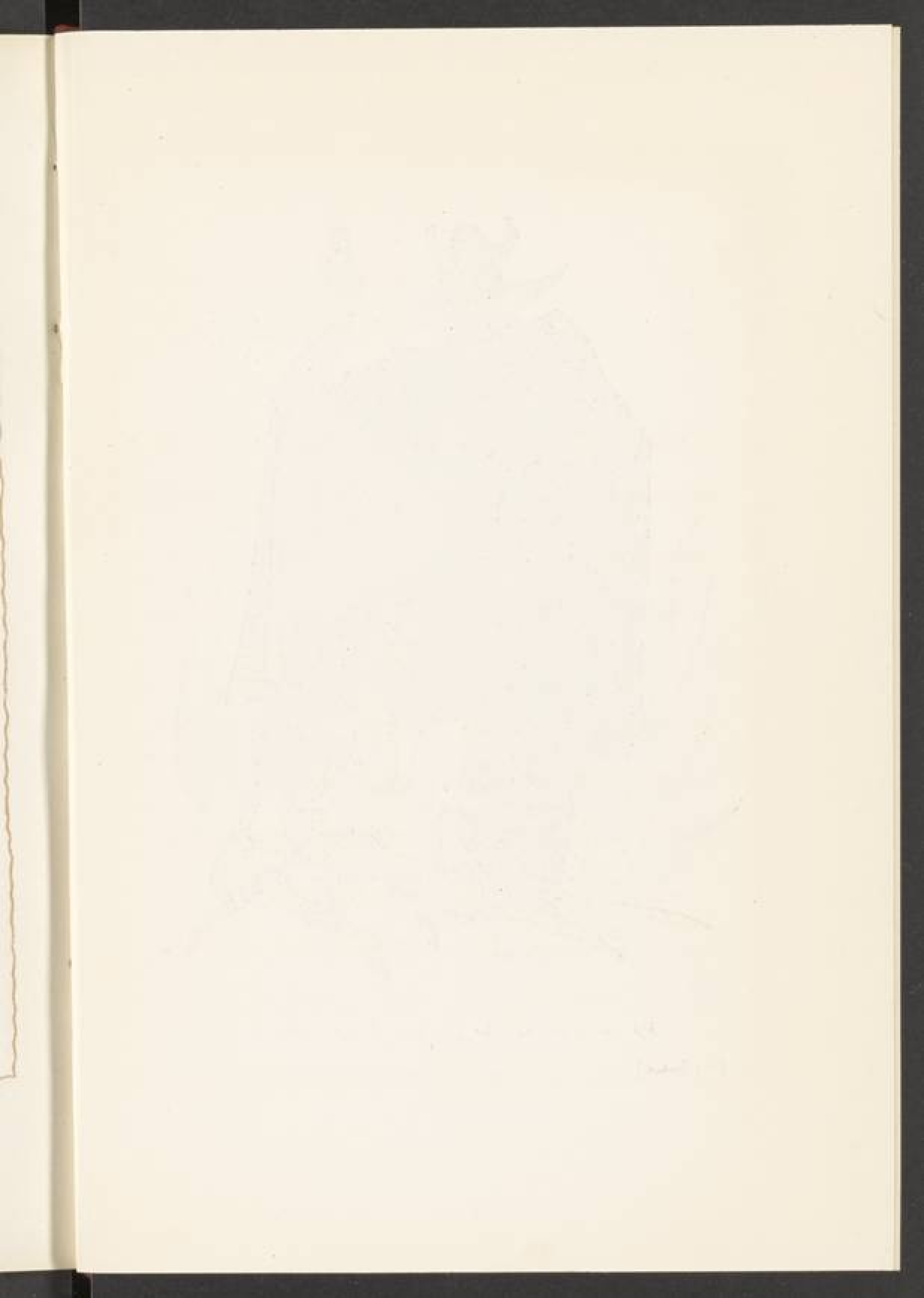
أنا ساهرٌ وجبالُ لُبـــنانٍ عليها الصّمتُ حامْ
خلعَ الجلالُ على مَنا كِبِها مواهبهُ الجِسامْ
فكأنّها إذْ صَعّدتْ في الجوِّ مُرّادٌ عِظامْ
صمتتْ لدُنْ برزَ الدُّجى فكأنَّ في فمِها لِجامْ

أنا ساهرٌ والسّهلُ في حِضنِ الطّبيعةِ كالغُلامْ
وكأُمِّـــهِ فتحتْ ذرا عيْها لِيهنأَ بالمنامْ



إني مفارقة ابنتي أو عفتي   فعلى كلا الحالين مر فراق

(صفحة ٦١)



يغفـو ويحرسُ ثغرَهُ رَوْحُ البنفسَـج والخزامْ
السَّهـلُ نامَ فلا حَرَا كَ ولا هُتافَ ولا بغامْ

أنا ساهِرٌ وَالْبَحْـرُ أَخْـرَسُ لَا هَدِيرَ وَلَا احْتِدَامْ
كَالْمَارِدِ الْجَبَّارِ مُنْـطَرِحٌ عَلَى صَدْرِ الرَّغامْ
فَكأَنّهُ وَالرَّمْـلُ إِلْـفَا صَبْوَةٍ مُنْـذُ الفِطَامْ
فَتَعَانَقَا عِنْـدَ الْمَنَا مِ وَمِلْءُ ثغرِهِمَا ابْتِسَامْ

لا حِسَّ حَتَّى خِلْتَ أَنْ سَادَ الْحِمَامُ عَلَى الْأَنَامْ
وَحَسِبْتَ أَنفَاسَ الْوَرَى سُجِنَتْ بِأَقْفَاصِ الْعِظَامْ
صَمْتٌ يُقَزِّزُكَ فِيهِ خَـبُّ النَّمْلِ في مَلَسِ الرّخَامْ

في ذَلِكَ الصَّمْتِ الرَّهِيـبِ وَذَلِكَ اللَّيْـلِ الْجَهَامْ
مَا كَانَ يَخْفُقُ غَيْرُ قَلْـبٍ كَادَ يُتْلِفُهُ السَّقَامْ

قَلْبٌ شَقِيٌّ في حَنَا يَا أَضْلُعِي اخْتَارَ الْمُقَامْ
قَلْبٌ تَأَكَّلَهُ الْغرَامُ وَظَلَّ يَخْفُقُ لِلْغَرَامْ

مَا أَعْظَمَ الضَّوْضَاءَ يُحْدِثُهَا فُؤَادُ الْمُسْتَهَامْ
إِذْ رَاحَ يَخْفِقُ وَحْدَهُ خَفَقَانَ أَجْنِحَةِ الْحَمَامْ
فِي مِثْلِ ذَا الصَّمْتِ الرَّهِيبِ وَمِثْلِ ذَا اللَّيْلِ الْجَهَامْ

١٩١٦



عُرْوة وعفراء

من وحي « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني .

مَهْدَ الغَرامِ وَمَسْرَحَ الْغِزْلانِ — حَيْثُ الْهَوَى ضَرْبٌ مِنَ الإِيمانِ

حَيَّتْكَ مِنْ أَرْواحِ عُرْوَةَ نَفْحَةٌ — قُدْسِيَّةٌ كالرُّوحِ فِي الأَبْدانِ

أَنا وَفْدُ أَبْناءِ الصَّبابَةِ ساجِدٌ — مِنْ تُرْبِ عُذْرَةَ في أَذَلِّ مَكانِ

أَسْتَنْزِلُ الْوَحْيَ الَّذِي ظَفِرَتْ بِهِ — شُعَراءُ عُذْرَةَ فِي الزَّمانِ الْفانِي

فَتَسُوغُ فِي أُذُنَيْ «جَمِيلٍ» رَنَّتِي — وَتَطِيبُ نَفْسُ «كُثَيِّرٍ» بِبَيانِي

بَلَدَ الْهَوَى الْعُذْرِيِّ وَهْوَ كِنايَةٌ — عَنْ حُبِّ أَشْرَفِ مَجْمَعٍ إِنْسانِي

يَتَعانَقُ الرُّوحانِ فِيهِ صَبابَةً — وَيَعِفُّ أَنْ يَتَعانَقَ الْجَسَدانِ

فَإِذا سَمِعْتَ بِعاشِقَيْنِ فَقُلْ هُما — مَلَكانِ مُتَّصِلانِ مُنْفَصِلانِ

ما دارَ ثَمَّ سِوَى الْحَدِيثِ كَأَنَّهُ — راحٌ يُدِيرُ كُؤُوسَها الْمَلَكانِ

سَلْ عُرْوَةَ بْنَ حِزامٍ عَنْ غُصَصِ الْهَوَى — تَسْمَعْ جَوابَ فَتَى الْغَرامِ الْعانِي

تَحْنَانَ سَاجِعَةِ الْحَمَائِمِ فِي الضُّحَى ... وَزَفِيرَ أَعْوَادِ الْجَحِيمِ الثَّانِي
وَلَهُ حَدِيثٌ كَالدُّمُوعِ إِذَا جَرَتْ ... جَذَبَتْ نَظَائِرَهَا مِنَ الأَجْفَانِ
عَلَمُ الْهَوَى مِنْ آلِ عُذْرَةَ عُرْوَةُ ... كَذَبَ الأُلَى قَالُوا لَهَا عَلَمَانِ

وُلِدَ الفَتَى الْعُذْرِيُّ عُرْوَةُ بَعْدَمَا ... دَارَتْ بِوَالِدِهِ رَحَى الحَدَثَانِ
فَإِذَا بِعُرْوَةَ فِي مَضَارِبِ عَمِّهِ ... «هُصَرٍ» فَكَانَ هُنَاكَ زُغْلُولَانِ
عَفْرَاءُ إِبْنَتُهُ مَعَ ابْنِ شَقِيقِهِ ... وَكِلَاهُمَا فِي الْعُمْرِ دُونَ ثَمَانِ
لَمْ يَلْبَسَا رِيشَ الْهَوَى لَكِنَّمَا ... هُوَ رِيشُ أَحْلَامٍ وَرِيشُ أَمَانِي
وَإِذَا تَضُمُّهُمَا الْحُقُولُ فَإِنَّهَا ... ظَفِرَتْ بِمَائِسَتَيْنِ مِنْ رَيْحَانِ
يَتَرَاكَضَانِ بِهَا — فَإِنْ هَمَا بُوغِتَا ... فِيهَا — فَبِالأَوْرَاقِ يَخْتَبِئَانِ
وَلَطَالَمَا وَقَفَا عَلَى الْوَادِي وَقَدْ ... صَرَخَا هُنَاكَ لِيَلْتَقِي الصَّدَيَانِ
مُزَجَا فَلَوْ خَطَرَتْ «لِعَفْرَا» فِكْرَةٌ ... بَدَرَتْ بِهَا مِنْ عُرْوَةَ الشَّفَتَانِ
وَإِذَا الْتَقَى النَّظَرَانِ تَلْمَعُ أَسْطُرٌ ... يَعْيَا بِحَلِّ رُمُوزِهَا الْوِلْدَانِ
حَتَّى إِذَا كَبِرَا تَوَلَّى شَرْحَ مَا ... لَمْ يَفْهَمَا قَلْبَاهُمَا الْخَفِقَانِ

فإذَا الوِدادُ هوًى وصادفَ تُربةً   بِكْراً فطَابَ مغارِسًا ومَجانِي

وَيحَ المُحِبِّ إذا تملّكهُ الهوَى   نمّتْ بهِ عينانِ فاضِحتانِ
عبثاً يُحاوِلُ ذُو الهوى كتمانَهُ   عبَثُ الهوى يقوى على الكتْمانِ
فدَرَى بهِ هُصَرٌ — وكانَ يَسُوؤهُ   مِنْ عُرْوةَ ابنِ شقيقِهِ يُتمانِ
وأهمُّ يُتْمَيْ عُرْوةٍ في عينِهِ   يُتْمُ الغِنَى — لوْ يسمعُ الأبوانِ
فشَكا إليهِ مِنهُ حُبَّ فتاتِهِ   شفتانِ تختلِجانِ تختذِلانِ
فأجابَهُ هُصَرٌ — وكانَ مُخاتِلاً —   ستنالُ مَنْ تهوى فكُنْ بأمانِ

نُعْمى على كبِدِ الفتى سقطتْ كما   سقطَ النّدى سَحَراً على حرّانِ
فأحسَّ أنَّ لهُ جناحَيْ طائرٍ   وبدتْ لهُ زُهْرُ النُّجومِ دواني
فجرى يُرقّصُ عُودَهُ الشِّعْرِيَّ على   صدْرِ المُرُوجِ ومِعصَمِ الغُدْرانِ
فيصُوغُ هينمةَ النّسيمِ قصائدًا   ويرُدُّ زمزمةَ الغديرِ أغاني

مَا راعَهُ إلاَّ مَقَالَةُ عَمِّهِ إنِّي أرَاكَ عَنِ الغِنَى مُتَوَاني
سِرْ لِلشَّامِ بِمَتْجَرٍ . . . فَأَطَاعَهُ وَعَصَى الفُؤَادُ فظَلَّ فِي الأَوْطَانِ

بَيْنَا الفَتَى فِي الشَّامِ يَكْدَحُ لِلْغِنَى كَانَتْ حَبِيبَتُهُ تُزَفُّ لِثَانِ
فَتَنَتْ مَحَاسِنُهَا « أُثَالَةَ » وَهْوَ مِنْ « هُصَرٍ » لَهُ نَسَبَانِ مُلْتَزِمَانِ
نَسَبُ الدِّمَاءِ وَفَوْقَهُ نَسَبُ الغِنَى نَسَبَانِ مَحْبُوبَانِ مُحْتَرَمَانِ
فَأَنَالَهُ عَفْرَاءَ صَفْقَةَ تَاجِرٍ حَسَبَ البَنَاتِ مَلاَبِسًا وَأَوَانِي

« مَا عَامِلٌ فِي الحَقْلِ حَمَّلَ يَوْمَهُ مَا لَيْسَ يَحْمِلُ مِثْلَهُ الهَرَمَانِ »
« يَمْشِي لِمَنْزِلِهِ بِنَفْسٍ مُغَالِبٍ مُرَّ الشَّقَا بِحَلاَوَةِ الوُجْدَانِ »
« يَمْحُو بِفِكْرَتِهِ عَبُوسَةَ دَهْرِهِ بِتَبَسُّمٍ فِي آلِهِ وَحَنَانِ »
« يَمْشِي وَمَا هُوَ إنْ دَنَا حَتَّى رَأَى فِي كُوخِهِ المَحْبُوبِ سُحْبَ دُخَانِ »
« وَرَأَى اشْتِعَالَ النَّارِ فِي أَخْشَابِهِ وَبُكَا النِّسَا وَتَهَافُتَ الشُّبَّانِ »
« فَأَحَسَّ بِالجُلَّى فَأَسْرَعَ لَيْتَهُ أَوْدَى وَلَمْ تُسْرِعْ بِهِ القَدَمَانِ »

« فَإذا قَرِينَتُهُ الْحَبِيبَةُ جُثَّةٌ وَ بِجَنْبِهَا وَلَدَاهُ يَحْتَرِقَانِ »[1]
مَاخَطْبُ هَذَا وَهْوَ أَهْوَلُ مَارَأَتْ عَيْنٌ وَمَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ
بِأَشَدَّ مِنْ قَوْلِ الرُّوَاةِ لِعُرْوَةٍ عَفْرَاءُ أَمْسَتْ زَوْجَةً لِفُلَانِ

خَلَعَ النحُولُ عَلَيْهِ أَفْجَعَ مَا ارْتَأَى داءٌ وأَبْلَى مَا اكْتَسَاهُ عَانِ
سُقْمٌ تَشِفُّ بِهِ الضُّلُوعُ كَأَنَّهَا قِطَعُ الزُّجَاجِ بِمَائِلِ الجُدْرَانِ
فَغَدَا بِهِ مَثَلًا تَنَاقَلَهُ إِلَى أَقْصَى الْقَبَائِلِ أَلْسُنُ الرُّكْبَانِ

مَا حَاضِرُ الرَّوْحَاءِ[2] دُونَ مَنَالِهِ وَخْدُ السُّرَى في الأَمْعَزِ الصَّوَّانِ
لِيَحُولَ دُونَ فَتَى الْهَوَى وَفَتَاتِهِ إِنَّ الْهَوَى ضَرْبٌ من الطَّيَرانِ
فَمَشَى إِلَى أَرْضِ الحَبِيبِ. دَلِيلُهُ « عَيْنَانِ إِنْسَانَاهُمَا غَرِقَانِ »
يُلْقِي الْقَصَائِدَ في الطَّرِيقِ وَحَشْوُهَا أَنْفَاسُ مَكْلُومِ الحَشَا وَلْهَانِ

(١) الأبيات التي بين هلالين عن ألفرد دي موسه .
(٢) حاضر الروحاء بلد أثالة وذلك إشارة إلى قول عروة .
ألا فاحملاني بارك الله فيكما إلى حاضر الروحاء ثم ذراني

كالنَّعْجَةِ البَيْضاءِ حِينَ مُرُورِها بَيْنَ الصُّخُورِ وَشائِكِ العِيدانِ
تُبقِي عَلَى الأَشْواكِ مِنْ أَصْوافِها خُصَلاً مُخَضَّبَةً بِأَحْمَرَ قانِ

وَدَرَى أُثالَةُ أَنَّ عُرْوَةَ فِي الحِمَى وَبِما بِعُرْوَةَ مِنْ هَوًى وَهَوانِ
وَأُثالَةٌ رَجُلُ المَحامِدِ بَيْتُهُ بَيْتُ الفَخارِ وَمُلْتَقَى الضِّيفانِ
فَأَبَتْ مُرُوءَتُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَرَى رَجُلاً كَعُرْوَةَ مُبْعَداً مُتَدانِي
فَمَشَى إِلَيْهِ عاتِباً : أَتَكُونُ فِي بَلَدِي وَلَسْتَ لِخَيْمَتِي وَخِوانِي
إِنِّي عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَنَّكَ نازِلٌ عِنْدِي وَإِلَّا ساءَنِي حِرْمانِي
— عُذْراً فَإِنِّي راجِعٌ لِحَوادِثٍ نَزَلَتْ بِنا ما كُنَّ فِي الحُسْبانِ
— لا عُذْرَ ... لا . لا عُذْرَ
— أَنظِرْنِي إِذَنْ لِغَدٍ
— إِذَنْ فَجْرَ النَّهارِ الثَّانِي
وَتَفارَقا فَإِذا بِعُرْوَةَ رُجْمَةٌ تَهْوِي عَلَيْها انقَضَّ صاعِقَتانِ
وَأَشارَ نَحْوَ أُثالَةٍ بِجُفُونِهِ سَتَرَى المُرُوءَةُ أَنَّنا كُفْوانِ

هَجَرَ الدِّيَارَ لِوَقْتِهِ تَسْعَى بِهِ قَدَمَانِ هَازِلَتَانِ شَاكِيَتَانِ

هَجَرَ الدِّيَارَ دِيَارَ عَفْرَاءَ الَّتِي طَبَعَتْ حُشَاشَتَهُ عَلَى الْأَحْزَانِ

حَتَّى إِذَا «وَادِي القُرَى» رَحُبَتْ بِهِ رَحُبَتْ بِشِلْوٍ لُفَّ فِي أَكْفَانِ

جُثْمَانُهُ فِي الْقَبْرِ لَـكِنْ رُوحُهُ أَبَدًا مُرَفْرِفَةٌ عَلَى الْوِدْيَانِ

رَنَّ النَّعِيُّ بِأُذْنِ عَفْرَاءَ فَهَلْ شَاهَدْتَ غُصْنًا مِنْ رَطِيبِ الْبَانِ

لَعِبَتْ بِهِ هُوجُ الْعَوَاصِفِ فَالْتَوَى مُتَقَصِّفًا وَأُصِيبَ بِالرَّجَفَانِ

هِيَ مِثْلُهُ حَاشَا الدُّمُوعَ وَأَنَّةً مِنْ صَدْرِ مُحْتَضَرٍ بِهِ جُرْحَانِ

فَأَتَتْ أَثَالَةَ وَالدُّمُوعُ سَوَابِحٌ فَتَاثَمَ الْفِضِّيُّ بِالْمَرْجَانِ

قَالَتْ : لَتَعْلَمَ أَنَّ عُرْوَةَ كَانَ لِي إِلْفًا وَنَحْنُ وَعُرْوَةٌ حَدَثَانِ

وَعَلِمْتَ أَنَّ هَوَاهُ لَا عَنْ رِيبَةٍ يُخْزَى بِهَا رَجُلِي وَيُخْفَضُ شَانِي

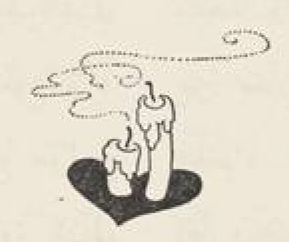
هَلَّا أَذِنْتَ بِأَنْ أَزُورَ تُرَابَهُ أَفَمَا أَبِي وَأَبُو الْفَتَى أَخَوَانِ

—مَنْ ذَا يُمَانِعُ أَنْ تَفِيهِ حَقَّهُ سِيرِي . فَمَا هِيَ غَيْرُ بَعْضِ ثَوَانِ

حتّى رأيتَ بقبرِ عُرْوةَ بانةً مُحْنِيَّةً — وا لهفتا للبانِ
وسمِعتَ أيّةَ زفرةٍ وشهِدْتَ أيّـــةَ ثورةٍ ولمستَ أيَّ حنانِ
—... واعُرْوتاهُ... ولمْ تُتِمَّ نِداءها حتّى ارْتمتْ فإذا هُنا مَيْتانِ

ضمّوا الفتاةَ إلى الفتى في حُفْرةٍ مِنْ فوقِها غُصْنانِ مُلتفّانِ
رُوحانِ ضمّهُما الهوى فتعانقا وتعاهدا فتعانقَ الـكفنانِ

١٩١٧



إلى اَمرأة

معربة حرفياً عن الشاعر الفرنسي « لويس بويه »

مَاذا ؟ أحقاً كُنتِ بي تَهزَئِينْ   وَكُنتِ في حُبِّكِ لي تَكذِبِينْ

لمْ تَخدَعِيني مُطلقاً إنّمَا   نَفسَكِ يا هذي التي تَخدَعِينْ

مَنَعتُ حُبِّي عَنكِ لكِنّمَا   مَنَحتُ عَفوِي شِيمَةَ الأكرَمِينْ

مَهلاً فمِصباحُكِ لمْ يأتَلِقْ   إلّا بِما مِنْ شُعلَتي تَقبِسِينْ

مَهلاً فإنّي مِثلُ ذاكَ الذي   في عُرسِ « قانا » أدهشَ العالَمِينْ

صَيّرتُ خَمراً آسِنَ الماءِ في   نَفسِكِ : خَمراً يُنعِشُ الشّارِبينْ

وَلِيمَةٌ كانَتْ لنا في الهَوى   أكثَرتُ فِيها عَدَدَ المُعجَبِينْ

هَلْ كُنتِ في أبهَى لَيالي الهَوى   أيّامَ كُنتِ فِتنَةَ النّاظِرِينْ

هَلْ كُنتِ إذْ ذاكَ سِوى آلةٍ   ألحانُها مِنّي وَمِنها الرّنِينْ

أنشَدْتُ أحلامي على فارغٍ مِنْ خَشَبِ القَلْبِ الذي تحمِلين
كالنَّغمِ الرَّنَّانِ في آلةٍ فارِغةٍ تحتَ يَدِ الضَّارِبين

إنْ جاءتِ الألحانُ تَسْبي النُّهى فأيُّ فضلٍ عِندَها تدَّعين
ألَمْ أكُنْ أستطيعُ إنشادَها على الملا مِنْ غيرِ ما تذكرين
إنّي لِكَيْ أبدعَ هذا السَّنا مِنْ عدمٍ ... ولَمْ يَعِشْ غيرَ حين
لقدْ كفاني أنّني عاشِقٌ وأنّني كُنتُ مِنَ المؤمنين

والآنَ سيري في الطَّريقِ الّذي شِئتِ فلي أيضاً طريقٌ أمين
سيري ولا تنسَي بأنْ تشتري إن كُنتِ تستحيينَ، ذاكَ الجَبين
مأدبةٌ أفرَغْتُ كأسي بِها وقُمْتُ عنها لا كما تزعُمين
ففضلةُ الكأسِ الّتي عِفتُها تركتُها لِلخدمِ السَّاقطين

١٩١٨

مِن مآسِي الحَرْب

وهذه مأساة ثانية وقعت سنة ١٩١٧ ، وكانت الحرب قد فتكت بنصف سكان لبنان تقريباً ، بطلها متصرف جبل لبنان وضحيتها عذراء طاحت المجاعة بوالديها تاركين لها أخاً صغيراً .

أَلْمَهَى أَهْدَتْ إِلَيهَا الْمُقْلَتَيْنْ | وَالظِّبَا أَهْدَتْ إِلَيْهَا الْعُنُقَا
فَهُمَا فِي الْحُسْنِ أَسْنَى حِلْيَتَيْنْ | لِلعَذَارَى ، جَلَّ مَنْ قَدْ خَلَقَا

وَدَرَى الرَّوْضُ بِتَيْنِ الْمِنحَتَيْنْ | وَقَدِيماً يَعْشَقُ الرَّوْضُ الْحِسَانْ
فَكَسَا بِالْوَرْدِ مِنْهَا الْوَجْنَتَيْنْ | وَكَسَا مَبْسِمَهَا بِالْأُقْحُوَانْ
وَرَمَى فِي صَدْرِهَا رُمَّانَتَيْنْ | مَنْ رَأَى الرُّمَّانَ فَوْقَ الْخَيْزُرَانْ
فَهُمَا فِي صَدْرِهَا كَالْمَوْجَتَيْنْ | أَيُّ صَبٍّ مَا تَمَنَّى الْغَرَقَا ؟
أَوْ هُمَا — وَلَيْسَا — كَالتَّوْأَمَيْنْ | كُلَّمَا هَمَّتْ بِأَمْرٍ قَلِقَا
وَرَآهَا اللَّيْلُ فَاخْتَارَ الْمَقَامْ | — وَلَقَدْ طَابَ لَهُ — فِي شَعْرِهَا
وَصَبَا الْفَجْرُ فَأَضْحَى حِينَ هَامْ | بِهَوَاهَا دُرَّةً فِي ثَغْرِهَا

فَإِذَا « ميٌّ » كَمَا شَاءَ الْغَرَامْ   مَا نَجَا ذُو صَبْوَةٍ مِنْ أَسْرِهَا
غَيْرَ أَنَّ الطُّهْرَ لِلْحَسْنَاءِ زَيْنْ   أَنْزَلَتْهُ قَلْبَهَا فَاسْتَوْثَقَا
فَإِذَا خَافَا افْتِرَاقَ الصَّاحِبَيْنْ   ذَكَرَا عَهْدَهُمَا فَاعْتَنَقَا

هَكَذَا فَلْتَكُنِ الغِيدُ الْحِسَانْ   عِفَّةً فِي رِقَّةٍ فِي أَدَبِ
ذَلِكَ الْكَنْزُ الذِي لا يُسْتَهَانْ   أَيْنَ مِنْ ذَلِكَ كَنْزُ الذَّهَبِ
وَحُلًى كَانَتْ عَلَى صَدْرِ الزَّمَانْ   فَاسْتَبَاحَتْهَا نِسَاءُ الْعَرَبِ
فَرَوَتْ عَنْهَا لَيَالِي الرَّقْمَتَيْنْ   خَيْرَ مَا يُرْوَى ، وَغُزْلانُ النَّقَا
فَشَهِدْنَا مِنْ لِقَاءِ الْعَاشِقَيْنْ   كُلَّ مَا يَجْمُلُ فِي عَيْنِ التُّقَى

هَلْ رَأَيْتَ الْوَرْدَ فِي الْوَعْرِ نَمَا   فَبَدَا لِلْعَيْنِ شَيْئاً عَجَبَا
وَرْدَةٌ صَارَتْ بِهَا الْأَرْضُ سَمَا   عِنْدَمَا لَاحَتْ عَلَيْهَا كَوْكَبَا
مَنَعَتْ مَبْسِمَهَا النَّاسَ وَمَا   مَنَعَتْهُ عَنْ نُسَيْمَاتِ الصَّبَا
هَكَذَا « ميٌّ » نَمَتْ فِي أَبَوَيْنْ   خَلْفَهَا وَأَخَاهَا لِلشَّقَا

وَاسْتَرَاحَا بَعْدَ ذَا فِي حُفْرَتَيْنْ   وَأَبَاحَا جَفْنَ « مَيٍّ » الْأَرَقَا

رَبِّ إِنَّ الْكَوْنَ مَهْمَا عَظُمَا   هُوَ فِي عَيْنِكَ لَا يُحْسَبُ شَيْ
قُدْرَةٌ ذَلَّتْ لَدَيْهَا الْعُظَمَا   كُلُّهُمْ فَانٍ وَسُبْحَانَكَ حَيْ
أَلِأَمْرٍ ضَلَّ عَنْهُ الْحُكَمَا   شِئْتَ يَا رَبِّيَ أَنْ تُوجِدَ « مَيْ »
وَأَخَاهَا ، وَهْوَ دُونَ السَّنَتَيْنْ   لَمْ يَكَدْ يُحْسِنُ بَعْدُ النُّطُقَا
وَأَثَرْتَ الْحَرْبَ مِلْءَ الْخَافِقَيْنْ   فَغَدَا الْكَوْنُ بِهَا مُنْصَعِقَا

رَبِّ . لَوْ شِئْتَ لَمَا سَالَتْ دِمَا   أَمْرُكَ الْأَمْرُ فَمَنْ ذَا يُنْكِرُ
وَلَمَا يُتِّمَ مَنْ قَدْ يُتِّمَا   وَلَمَا اسْتَلَّ السِّلَاحَ الْعَسْكَرُ
رَبِّ . إِنْ نَحْنُ بَلَغْنَا الْهَرَمَا   أَوْ يَكُنْ حَانَ الَّذِي يُنْتَظَرُ
مُرْ وَلَا كُفْرَانَ ذَيْنِ الْكَوْكَبَيْنْ   يَخْرِقَا النَّامُوسَ أَوْ يَحْتَرِقَا
وَاسْتَرِحْ مِنَّا فَنَغْدُو بَعْدَ عَيْنْ   أَثَرًا لَا بُدَّ أَنْ يَنْمَحِقَا

واخْلُقِ الإنسانَ خَلقاً راقِياً وَاقْتُلِ البُغضَ بِهِ والكِبْرِيَاءْ
واجْعَلِ الحُبَّ إلهاً ثانِياً وَاسْجُنِ المَالَ وَلا تُبقِ الرِّيَاءْ
وَلْيَكُنْ كُلُّ امْتِيازٍ لاغِيا يَخْرُجِ النَّاسُ عَلى حَدٍّ سَواءْ

رَبِّ هَلْ مِنْ نِصفَةٍ في وَلَدَيْنْ خَرَجَا مِنْ مَصْدَرَيْنِ افْتَرَقَا
فإذَا المُوسِرُ يُكْسَى حُلَّتَيْنْ بَيْنَمَا المُعْسِرُ يُكْسَى الخِرَقَا

مَنْ تُرَى يَشْرَحُ لِي ذَنْبَ الفَقيرْ أَوْ تُرَى يُظْهِرُ لي فَضْلَ الغَنِي
يَرِثَانِ البُؤْسَ، والعَيْشَ النَّضِيرْ وَيُقِيمَانِ كَذَا في الكَفَنِ
أفَهذي حِكْمَةُ اللهِ القَديرْ ؟ لا . — وَجَلَّ اللهُ عَنْ ذا الغَبَنِ

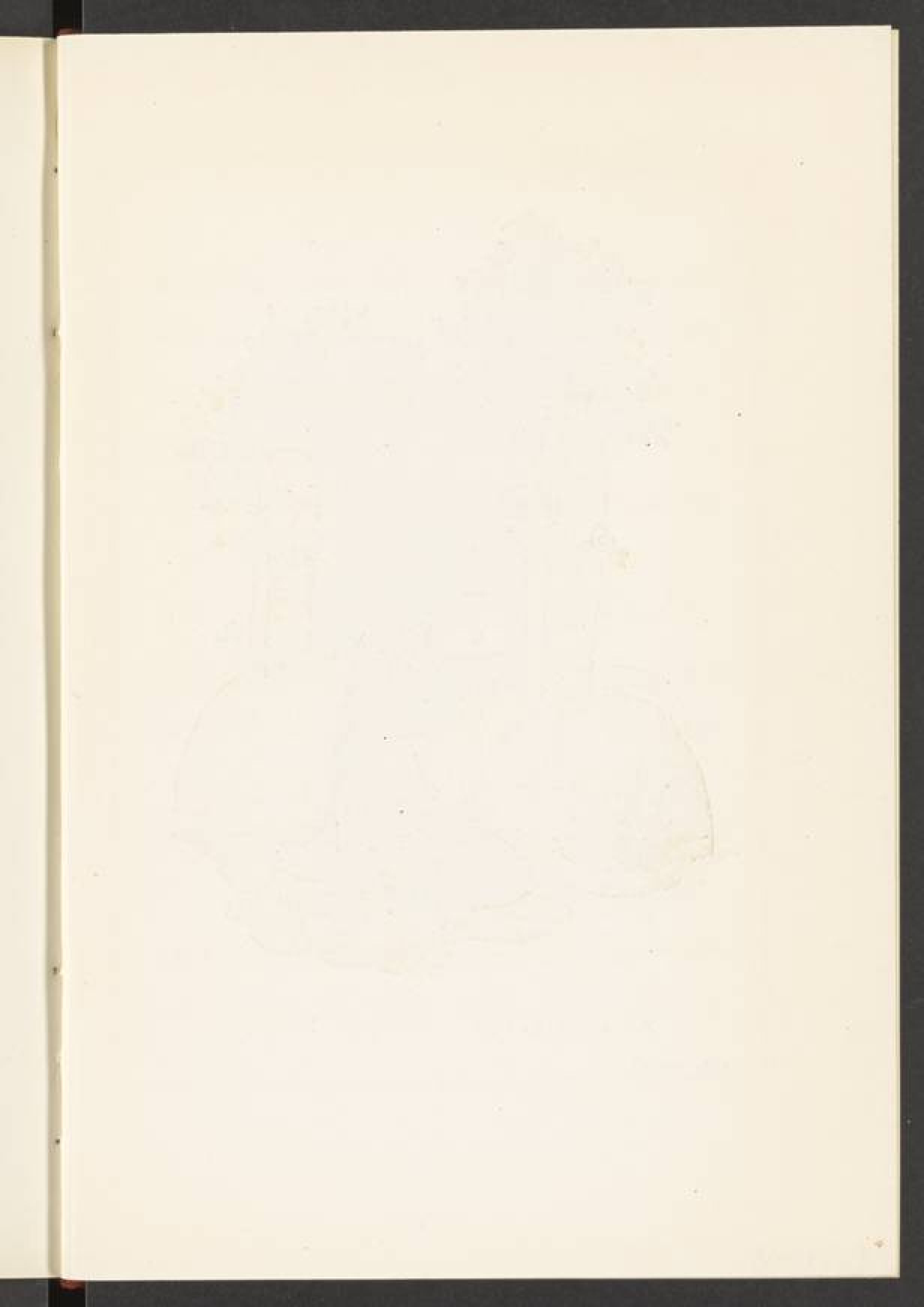
إنَّما هذانِ مِثْلُ البَذْرَتَيْنْ نُثِرَا في الأرْضِ حَتّى انْبَثَقَا
فَكَسَا المَقْدُورُ تَيْنِ النَّبْتَتَيْنْ هذِهِ قُبْحاً وَهذي رَوْنَقَا

ضَاقَ «جوبيتير» صَدْراً فانْبَرَى يَتَمَشّى في فَرَادِيسِ الجِنَانْ
فَبَدَا أَهْيَبَ شَيءٍ مَنْظَرَا وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ مِنْ أُرْجُوانْ



واعروتاه ! ولم تتم نداءها حتى ارتمت فإذا هنا ميتان

(صفحة ٧٤)



وَرَمَى لِلأَرْضِ مِنْه نَظَرا فَرَأى الهَوْلَ وَأنْوَاعَ الهَوَانْ
مَلْعَباً لِلشَّرِّ مَا مِنْ صَالِحَيْنْ فَوْقَهَا أوْ أخَوَيْنِ اتَّفَقَا
فَرَمَى غَيْظاً عَلَيْهَا جَمْرَتَيْنْ فَتَلَظَّتْ وَتَلَظَّى حَنَقَا

إنها الحَرْبُ... وَلَمْ تَتْرُكْ عَلَى سَطْحِهَا إلّا جُسُوماً بَالِيَهْ
وَنُفُوساً حُوَّماً حَوْلَ البِلَى تَتَمَشَّى في صُدُورٍ خَاوِيَهْ
تَشْتَكِي الجُوعَ وَتَقْرِي المَلَلا عَجَباً مِنْهَا جِيَاعاً قَارِيَهْ
وَشَكَا لُبْنَانُ مِنْهَا عِلَّتَيْنْ حَاكِماً جِلْفاً وَعَيْشاً ضَيِّقَا
وأُموراً لَوْ أصَابَتْ جَبَلَيْنْ رَسَخَا فَوْقَ الثَّرَى لانْسَحَقَا

ضَرَبَ الجُوعُ بِصَمْصَامٍ رَهِيفْ فَاذا قَتْلاهُ مِلْءُ السُّبُلِ
مَوْقِفٌ أمْسَى بِهِ نَيْلُ الرَّغِيفْ أمَلاً ؛ أكْذِبْ بِهِ مِنْ أمَلِ
وَيْحَ «مَيٍّ» وَهْيَ مِنْ جِنْسٍ ضَعِيفْ مَا لَهَا غَيْرُ بَقَايَا المَنْزِلِ
وَثِيَابٍ لا تُسَاوِي (وَرَقَتَيْنْ)[1] رَحِمَ الرَّحْمَانُ ذَاكَ الوَرَقَا

(١) كانت الليرة التركية تساوي يومذاك ستة عشر غرشاً .

لَيتَهَا كانَتْ تُساوِي ذَهَبَينْ   عَلَّهَا كانَتْ تَسُدُّ الرَّمَقَا

«ميُّ»! ما السِّحْرُ سِوى مارَسَمتْ   رِيشَةُ الْمُبْدِعِ فِي هَذِي الْعُيُونْ
لَمْ تُصَادِفْ مُهْجَةً إلَّا رَمَتْ   وَأصابَتْ ، هَكَذَا الْفَتْكُ يَكُونْ
فَهْيَ لَوْ رَقَّتْ لِمَنْ قَدْ تَيَّمَتْ   وَأبَاحَتْ ذَلِكَ الثَّغْرَ الْمَصُونْ
لَجَرَى التِّبْرُ إلَيْهَا واللُّجَينْ   وكِلَا الإثْنَينِ يَبْغِي السَّبَقَا
ومَشَتْ مِنْ زَهْوِهَا فِي مَوْكِبَينْ   وحَنَا الرَّغْدُ لَدَيْهَا الْعُنُقَا

هِيَ بِنْتُ الفَقْرِ يَا بِنْتَ الْغِنَى   تُؤْثِرُ الْمَوْتَ عَلَى الْعِرْضِ السَّخِيفْ
فَارْتَمَتْ «ميٌّ» عَلَى مَهْدِ الضَّنَى   وتَرَامَيْتِ عَلَى مَهْدِ «مُنِيفْ»
فَهْيَ لَوْ تَشْرِي بِعِرضٍ ثَمَنَا   عَذَرَ الْعَاقِلُ فَالْجُوعُ مُخِيفْ
إنَّ مَنْ قَابَلَ بَيْنَ الْغَادَتَينْ   كَادَ مِنْ إيمَانِهِ أنْ يَمْرُقَا
يَا سَمَا قُولِي لَنَا الإنْصَافُ أيْنْ   أتُرَاهُ ضَلَّ عَنَّا الطُّرُقَا

أيُّها الفقرُ وإنْ كُنتَ كمَا	زعمَ الزاعمُ فؤادَ الزِّنى
لكَ — ولتهنأ — شقيقٌ فوقَ ما	تتمنّى ، إنَّهُ حُبُّ الغِنى
كمْ أبٍ أمّلَ منهُ مغنما	ورأى في بنتهِ نيلَ المُنى
فرمى بالعرضِ عرضَ الحائطينْ	ومشى بابنتهِ للمُلتقى
فهوَ مِنْ ذاكَ وذا صفرُ اليدينْ	شرفٌ ماتَ وعِرضٌ مزّقا

قُوتِلَ المالُ فكمْ مِنْ رجلٍ	مثلِ هذا قادَ يوماً واستقادْ
ردَّ عنهُ المالُ سيفَ العذلِ	ووقاهُ ألسنَ اللوْمِ الحدادْ
ولكمْ مِنْ غادةٍ لا تأتلي	تطرحُ الجسمَ على مهدِ الفسادْ
هيَ مِنْ ثروتِها في فيلقينْ	ينصرُ الفيلقُ منها الفيلقا
فإذا جرَّدتَ عنها كلَّ عينْ	هدفاً أمستْ لِمنْ قدْ رشقا

في سكونِ الليلِ والناسُ نيامْ	وفؤادُ الكونِ محمومٌ كئيبْ
وعلى النجمِ مِنَ الغيمِ لثامْ	وهلالُ الأفقِ في حضنِ المغيبْ

رَنَّ فِي أُذْنِ الدُّجَى صَوْتُ غُلَامْ | وَأَجَابَتْهُ فَتَاةٌ بِالنَّحِيبْ
فَأَسَالَ الْأُفْقُ مِنهُ دَمْعَتَينْ | أَتُرَى ذَلِكَ أَبْكَى الْأُفُقَا ؟
وَرَنَا الْبَدْرُ لِذَيْنِ الْبَائِسِينْ | فَتَلَظَّى لَوْعَةً فَانْفَلَقَا

إِيْهِ يَا لَيْلُ فَهَذَا بَيْتُ «مَيْ» | طُرِقَ الْبَابُ... فَمَنْ زَوْرُ الدُّجَى؟
— إِفْتَحِي. قَالَتْ: مَنِ الْآتِي إِلَيْ؟
— أَنَا — مَنْ أَنْتِ ؟
— أَجَابَتْهَا: «رَجَا»
— لَمْ يَمُرَّ اسْمُ «رَجَا» فِي أُذُنِي | أَتُرَى تَحْسَبُ بَيْتِي مُلْتَجَا
رَدَّدَتْ فِي النَّفْسِ بَيْنَ الْكِلْمَتَينْ | وَمَشَتْ تَنْظُرُ مَنْ قَدْ طَرَقَا
فَإِذَا شَمْطَاءُ تَطْلِي الْوَجْنَتَيْنْ | وَيَبُثُّ الطِّيبُ عَنْهَا الْعَبَقَا

شُدِهَتْ لَمَّا تَلَاقَى النَّظَرَانْ | وَاسْتَبَانَتْ ذَلِكَ الْحُسْنَ الْفَرِيدْ
وَهِيَ لَمَّا سَمِعَتْ ذَا الْكَرَوَانْ | أَيْقَنَتْ أَنْ سَوْفَ تَلْقَى مَنْ تُرِيدْ

فعَلا الوجهَ لِثَامٌ مِنْ حَنَانْ وَعلاَ القَلْبَ غِشَاءٌ مِنْ حَديدْ
وأدَارَتْ حَيَّةً فِي حَنكَيْنْ تَنفُثُ السُّمَّ وتَطليهِ رُقَى
أي «رجَا»، رِقِّي لِذَيْنِ الطَّائِرَيْنْ قَدْ رَأَينَاكَ نَشَرْتِ الدُّبقا

—يا ابْنَتِي لاتَجزَعِي، ثُمَّ رَنَتْ وَانحَنَتْ كالأُمِّ فَوْقَ الوَلَدِ
قُوتِلَتْ هَذِي اللَّيَالِي كَمْ جَنَتْ مَا عَفَتْ— لا عُوفِيتْ—عَنْ أَحَدِ
وَلَدِي أَنْتِ وَلَمَّا طَعَنَتْ وَلَدِي قَدْ طَعَنَتْ فِي كَبدِي
مَا حَرَامٌ أن أرَى هَذَا الغُصَيْنْ ذَاوِياً مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَوْرَقَا
وهْوَ لَوْ شَاءَ لأَجْرَى نَبْعَتَيْنْ مِنْ يَنَابِيعِ الأَمَانِي وَاسْتَقَى

— أنا لَوْ شِئْتُ ؟ لِمَاذَا لاَ أشَا مَنْ يُطِيقُ الجوعَ مَنْ يَهوَى السَّقَامْ
فَأخِي قَدْ نَامَ مِنْ دُونِ عَشَا وأنَا مَا ذُقْتُ فِي يَوْمِي طَعَامْ
مَنْ لِهَذَا القَلْبِ أنْ يَنْتَعِشَا ؟
—خَفِّفِي عَنْكِ فَمَا مَاتَ الكِرَامْ

وَندَى الحاكِمِ يَزْرِي المُزْنَتَين ْ فَمَتَى تَستَمْطِرِيهِ أغْدَقَا

— أَتُرى يرْحَمُنا ؟

—سَوْفَ تَرَيْنْ فَاسْتَرِيحي .. وَغداً يَوْمُ اللِّقَا

أَرِقَتْ « مَيٌّ » كَأَنَّ الأَمَلا حِينَ نَامَتْ سَارِقٌ الجَفْنَ الغِرَارَا

فاسْتَحَالَ الحزْنُ فِيها جَذَلا وَاسْتَمَدَّ القلبُ مِنهُ فاسْتَنَارا

حَسِبَتْهَا نِعْمَةً مِنْ ذِي العُلى مَنْ رأى أَطْهَرَ مِنْ قَلْبِ العَذَارى

« مَنَحَ اللهُ العَذَارَى مَلَكَيْنْ يَحْرُسَانِ الطُّهْرَ كي لا يُسْرَقَا »

« فَلِذا يَشْعُرُ مَنْ هَمَّ بِشَيْنْ بِجَنَاحٍ حَوْلَهَا قَدْ خَفَقَا[1] »

لِمَنِ القَصْرُ بَدَتْ فِيهِ الشُّمُوسْ فَعَلَى وَجْهِ الدُّجَى مِنْهُ نَهَارْ

وأُدِيرَتْ في مَغَانِيهِ الكُؤُوسْ مَزَجُوا فِيهَا رُضَاباً بِعُقَارْ

هُوَ كالدُّنيا سُعُودٌ ونُحُوسْ وَالبَرَايَا مِنْهُ في ماء ونَارْ

(١) البيتان الموضوعان بين هلالين مقتبسان عن ألفرد دي موسه .

يَسْبَحُ النَّذْلُ بِهِ في لُجَّتَيْنْ وَيُقَاسِي الحُرُّ مِنْهُ الحُرَقَا
فَمَتَى يُنْصَفُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنْ إِنَّ لِلإِنْصَافِ بَاباً مُغْلَقَا

لا رَعَاكَ اللهُ يا قَصْرُ وَلَا سَالَمَ الدَّهْرُ وَلاَ جَادَ الغَمَامْ
فَدِمَاءُ الشُّهَدَا هَذِي الطِّلاَ وَعَوَامِيدُكَ مِنْ تِلْكَ العِظَامْ
فَاعْتَصِرْهَا أَكْبُداً أَوْ مُقَلاَ وَتَرَشَّفْهَا غَرَاماً وَغَرَامْ
تَسْتَقِي الرَّغْدَ وَنَسْقِي كَأْسَ حَيْنْ وَتَرَى مُصْطَبِحاً مُغْتَبِقَا
فَكِلاَنَا أَبَداً في سَكْرَتَيْنْ لِلْهَنَا كَأْسٌ وَكَأْسٌ لِلشَّقَا

أَيُّهَا النَّاسُ الأُلَى خَاطُوا الكَفَنْ لِفَقِيرٍ كَيْ يَفُوزُوا بِالثَّرَاءْ
هَبْ وَرِثْتُمْ بَعْدَهُ الأَرْضَ فَمَنْ يُصْلِحُ الأَرْضَ لَكُمْ يا أَغْنِيَاءْ
فَإِذَا طَاحَ بِذِي الفَقْرِ الزَّمَنْ فَالغِنَى إِنْ يَشْمُلِ النَّاسَ عَنَاءْ
مَنْ رَوَى فِيمَا رَوَى عَنْ حَاجِزَيْنْ يَمْنَعَانِ المَاءَ أَنْ يَنْدَفِقَا
حَرَمَا الظَّمْآنَ بَلَّ الشَّفَتَيْنْ وَأَقَامَا يَشْكُوَانِ الغَرَقَا

وَقَفَتْ «مَيُّ» بِبابِ الحَاكِمِ ... كَمَلاكِ اللهِ مَقْصُوصَ الجَنَاحْ

وَقَفَتْ عطشى كَطَيْرٍ حائِمِ ... حَوْلَ ماءٍ يَحْسِبُ الوِرْدَ مُباحْ

وَتَخَطَّتْهُ بِرِجْلَيْ صائِمِ ... أَوْ بِرِجْلَيْ ثَمِلٍ مِنْ غَيْرِ رَاحْ

وَهِيَ لو أنَّ لديها كِسْرَتَينْ ... لَثَنَتْها عِزَّةٌ عَنْ ذَا اللِّقَا

إنَّما يَأْسُ الفَتى لَيْسَ بِهَيِّنْ ... لاَ يُبالِي يائِسٌ أنْ يُخْفِقا

«مَيُّ» يا أُخْتَ الغَزالِ النَّافِرِ ... خَبِّرِينا أينَ ضَيَّعْتِ النُّفُورا

يا ضِيا وَجْهِ الصَّباحِ الطَّاهِرِ ... كَيْفَ يَبْقَى ذلكَ الوَجْهُ طَهُورا

يا أسيراً تحتَ حُكْمِ الآسِرِ ... هكذا الآسِرُ يَرْضَى أنْ تَسِيرا

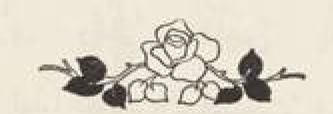
سِرْ.. فسارَتْ خُطْوَةً أوْ خُطْوَتَيْنْ ... فإذا البابُ عَلَيْها أُغْلِقا

قالَ: أهْلاً ... ثُمَّ مَدَّ الرَّاحَتَيْنْ ... ثُمَّ . . . .

رَبِّ. قُلْ لِلْجُوعِ يُصْبِحْ شَبَعا ... وَأَنْقِذِ الطُّهْرَ الَّذِي قَدَّسْتَهُ

أو مُرِ ٱلفِسْقَ فيَغْدُو وَرَعَا   إنْ يَكُنْ شَرًّا فَلِمْ أوْجَدْتَهُ
طَبَعتَهُ قُدْرَةٌ فَٱنطَبَعا   أيُّ شَيْءٍ أنْتَ مَا قَدَّرْتَهُ
مَلَكٌ حَطَّمْتَ مِـنْهُ ٱلجَانِحَيْنْ   فَهَوى مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ حَلَّقَا
مَا تُرَى يَفْعَلُ مَكْتُوفُ ٱليَدَيْنْ   أتُرَى يَقْدِرُ أنْ لاَ يَغْرَقَا ؟

١٩١٧



القَرْيَة

أيّتهـا الفَتّانَةُ الصَّـغيرهْ   أنتِ بتاجِ مَلِكٍ جَدِيرَهْ

مِنَ القُرَى اشْتَقُّوا لَكِ اسْمَ القَرْيَه   وَعُطّلُ السَّفْحُ فَكُنْتِ الحِلْيَه

شَاعِرُكِ البُلْبُلُ ذُو الإلْهَـامِ   وعُودُكِ الجَدْوَلُ ذو الأنْغَامِ

والغَيْمَةُ البَيْضَاءُ مِثْـلُ القُبَّهْ   كأنّهـا مِنَ الحَرِيرِ جُبَّهْ

تَضُمُّ أعنَاقَ الرُّبى وتَلْثِمُ   فَلَيْسَ إلّا شَفَةٌ ومَبْسِمُ

كَمْ طَرِبَتْ شمسٌ لِهذا المَشْهَدِ   فَمَسَحَتْ جَبْهَتَهُ بِالعَسْجَدِ

حتّى إذا اللّيْلُ سَجَا ومَدَّا   عَلَى الوَرَى جَنَاحَه المُسْوَدَّا

مَشَى إليهِ البَدْرُ مِثْلَ الصَّائِدِ   يَهْتَبِلُ الغَفْلَةَ مِنْ مُطَارَدِ

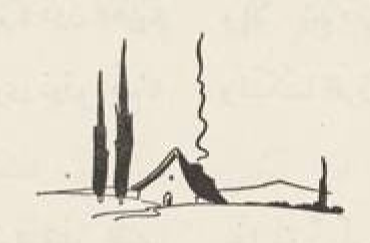
حتّى رَمَى بِخُرْدُقِ النُّجُومِ   صَدْرَ الدُّجَى فَسِلْنَ كالكُلُومِ

مَآتِمٌ لَكِنَّهَـا أعْرَاسُ   يُدَارُ عِنْدَها الصَّفَا والكَاسُ

تُوحِي بِها القَرْيَةُ في رأسِ الجَبَلْ   وأرْوَحُ العَيْشِ خَيَالٌ وأمَلْ

وَسَاعِدٌ مِنَ الضُّحَى مَفْتُولُ   تَغْمُرُهُ بِالْقُبَلِ الْحُقُولُ
أَسْمَرُ مِمَّا لَذَّعَتْهُ الشَّمْسُ   فِي كَفِّهِ لِكُلِّ نَفْسٍ نَفْسُ
يَقُومُ فِي الأَرْضِ مَقَامَ الْخَالِقِ   فَيُغْدِقُ الرِّزْقَ عَلَى الخَلائِقِ
فَقُلْ لِمَنْ يُحَاوِلُونَ قَتْلَهُ   أَلْعَدْلُ يَقْضِي أَنْ تَمُوتُوا قَبْلَهُ

١٩١٧



سلفين وجيروم

كان الشاعر قد طوى هذه القصيدة في جملة ما طواه من قصائد المرحلة الأولى فأبى عليه أصدقاؤه إلا إثباتها لما فيها من طرافة .

مِنَ الذَّوْقِ أَنْ أُتحِفَ الصَّحبَ شَيئاً ... عَلَى ذَوْقِهِم ، وَهْوَ أَمْرٌ يَسيرْ

وأحْسَبُ أَنِّي سَأُرضيهِمِ ... لِأَنِّي بِذَوْقِ الصِّحابِ خَبيرْ

ولستُ لِأَعني «هُمُ» دُونَ «هُنَّ» ... وإلَّا شَدَدْنَ عَلَيَّ النكيرْ

فماذوقُ «هُنَّ» سوى ذوقِ «هُمْ» ... ولـكنَّما الفرقُ فرقُ (الضميرْ)

قَرأْتُ « لبوكاسَ » وَهْوَ الَّذي ... بِذَا ٱلفنِّ لَيسَ لهُ من نظيرْ

يريكَ ٱلفتاةَ بِقُربِ ٱلفتى ... (كَمَا خُلِقَا) في ٱلفِراشِ ٱلوثيرْ

وَيُضْحِكُنا غالِباً إنَّما ... له في مَرَاميهِ مَغْزًى خطيرْ

أُقَلِّدُهُ جَهْدَ ما أستطيعُ ... فَإِنْ فُزْتُ فُزْتُ بحظٍّ كبيرْ

قَرَأْتُ « لبوكاس » أَنَّ أمرأً ... أَصَابَ مِنَ ٱلمالِ حَظًّا وفيرْ

قضى بعدَ أنْ أخْرَجتْ عُرسُهُ ... لَهُ وَلَداً كالْهلالِ الْمنيرْ

فَعاشَ تُراقِبُهُ الأوْصياء ... إلى أنْ مَشَى للشَّبابِ النَّضيرْ

فهامَ بحسناء من عُمْرِهِ ... ولكنها ابنةُ شيخٍ فَقيرْ

وما زَالَ يَنْمو بهِ حُبُّها ... وَيكْبَرُ في القلبِ حُبُّ الصَّغيرْ

وَلَمْ تَسْتَطِعْ أمُّهُ رَدْعَهُ ... فَراحتْ إلى أهْلِهِ تستجيرْ

وقد سألتهمُ أنْ يُبْعِدوهُ ... عَسى البعدُ يُنسيهِ ذَاكَ العشيرْ

وَما بَرِحوا بالفَتى وَهْوَ يأبى ... وَيَمْنَعُهُ « حُبُّها » أنْ يسيرْ

وَقالُوا لَهُ سَنَةٌ ثمَّ تَمْضي ... وَتَرْجِعُ مُسْتَمْتِعاً مُسْتَنيرْ

وَما كانَ إلا غلامٌ فريدٌ ... وكانوا حَوالَيْهِ جَمْعاً غفيرْ

فأذعنَ والدَّمْعُ في مُقْلَتَيْهِ ... وفي قَلْبِهِ مِثْلُ حَرِّ السَّعيرْ

فَغَادَرَ قَرْيَتَهُ تارِكاً ... بِهاَ قَلْبَهُ والمُنَى والضميرْ

أقامَ بِمَنْفاهُ عامَيْنِ كانا ... كَرَضْوى عَلَى ظَهْرِهِ أوْ ثَبيرْ

فَلَمْ يَحْتَرِفْ غيرَ عَدِّ اللَّيالي ... وَيَسْألُها رَحْمَةً أنْ تَطيرْ

وإذْ عادَ عادَ وجُرْحُ الهوَى   -كما كانَ مِنْ قَبْلُ-جُرْحٌ خطيرْ
يَرَى بالمُنَى وَجْهَ ذاكَ الحَبيبِ   وَيَحْسَبُهُ بانتِظارِ البَشيرْ
وَلكِنَّما البُعْدُ ذَنْبٌ كَبيرْ   لَهُ «عِنْدَهُنَّ» قِصاصٌ كبيرْ

وَبَيْنا الفَتى كانَ يَشْقَى هُنا   كَ كانَتْ تُزَفُّ الفَتاةُ هنا
فإذْ عادَ لَمْ يَلْقَ في سِرْبِهِ   سِوى القَبْرِ يَدْفِنُ فيهِ المُنَى
قَضَى زَمَناً ذَاهِلاً لا يَحِيرُ   إلى أنْ وَهَى صَبْرُهُ وانتهى
وقد كانَ يعرفُ بيتَ الخؤونِ   فينسلُّ تحتَ جناحِ الخفَا
ويأمُلُ مِنها ولوْ نَظْرَةً   تَشِفُّ لهُ عن جميلِ الرِّضا
ولكنَّهُ لم ينلْ مأرَباً   .لأنَّ فؤادَ الفتاةِ سَلا
فَحاوَلَ «جيرومُ» قَبْلَ المما   تِ تَذْكيرَها بِعُهودِ الصِّبا
وإذْ هِيَ مَعْ زَوْجِها لَيْلَةً   يَزُورانِ جاراً بُعَيْدَ العَشا
أَتَى البَيْتَ وانْسَلَّ خَلْفَ السَّريرِ   وحاوَلَ أنْ يَخْتَفِي فاخْتَفَى

وما طالَ أنْ رجعا للمبيتِ	وعانقَ كلٌّ لذيذَ الكرى
وحينَ أحسَّ الفتى وهوَ مضْغٌ	بزوجِ حبيبتِهِ قدْ غفا
مشى نحوَها لا يُحِسُّ الثّرى	بمشْيتِهِ وعليها انحنى
وألقى على صدْرِها كفَّهُ	وقدْ خفقتْ كاللّوا في الهوا
وقالَ أتغفينَ يا مُهجتي	عسى تحلُمينَ بأنّي هُنا

فجُنّتْ مِنَ الذُّعرِ ثم ارعوتْ	وقدْ ظنّتِ الأمرَ إحدى الرُّؤى
ولكنّها سمعتْ صوتَهُ	يقولُ اسكتي أنا ذاكَ الفتى
أنا هوَ «جيروم» ذاكَ التّعيسُ	أنا مَنْ أحبّكِ مُنذُ انتشا
فقالتْ لهُ اُخرُجْ بحقِّ السّما	فذاكَ الهوى عهدُهُ قد مضى
ألستَ ترى أنني زوجةٌ	عليَّ لِزوْجي حُقوقُ الوفا
فإنْ هوَ فاجأنا هكذا	فأيسرُ خطبي فقدُ الهنا

هُنا سُحِقتْ نفسُ هذا التّعيسِ	وقدْ قطعتْ فيهِ خيطَ الرَّجا

فَلَمْ يُجْدِ من حُزْنِهِ ما بَدَا   ولَمْ يجْدِ مِنْ دَمعهِ ما جرى
وحينَ أحَسَّ الرَّدى مُقْبِلا   وَشيكاً عَلَى قدمَيْها جثَا
وقَالَ لَها طِلْبَةٌ لا أُرَجِّي   سِوَاها فرُحْماكِ قبْلَ الفنَا
أنامُ ولَوْ لَحْظَةً في ٱلسَّرِيرِ   بِقُرْبِكِ لا أبْتَغي مُبْتَغى
بلا لَمْسَةٍ وبِلا هَزَّةٍ   أظَلُّ كأنِّي صَفَا أوْ عصا
وما كنتُ لَوْلا صَقِيعٌ مُمِيتٌ   بِقَلْبي لِأَطلبَ هذا الدِّفَا
وَبَعْدَئِذٍ أنثني رَاجِعاً   ولَسْتُ أقولُ إلى المُلْتقَى

وكانَ كلامُ ٱلفتَى مُوجِعاً   تَذُوبُ بِهِ نَفْسُهُ من أسَى
فرَاحتْ تُفكِّرُ في شَرْطِهِ   وقد أطْرَقتْ لَحْظَةً من حَيَا
فَـكانَ بِذَا فُرْصَةٌ لِلفَتى   فهَبَّ إلى قُرْبِهـا وٱرْتمى

وإذْ هُوَ في قُرْبِها نَائِمٌ   تَمثَّلَ في ٱلفِكْرِ ذاكَ ٱلهوَى
ومَاذا تجرَّعَ مِن ظُلْمِها   وأيُّ سَنًى شَعَّ ثُمَّ ٱنطفا

فَصَمَّمَ أنْ يَسْتَريحَ فلا   يُكابِدُ من بَعْدُ هذا ٱلعَنا
فَشَدَّ إلى صَدْرِهِ كَفَّهَا   وَما هُوَ أنْ شَدَّ حتى ٱرتَخى
وأطلقَ من صَدْرِهِ زَفْرَةً   حوَتْ كلَّ ما عِنْدَهُ من قُوى
ففارَقَتِ ٱلرُّوحُ جُثْمانَها   فكانَ ٱلفِراقُ بِذاكَ ٱللِّقا

وأدْهَشَ «سِلْفينَ» هذا ٱلجُمودُ   وَمَا عَلِمَتْ أيَّ خَطْبٍ دَهى
فَظَنَّتْهُ في هَجْعَةٍ عانَقَتْ   بِهَا رُوحُهُ رُوحَها فٱنتشى
فنادتْهُ قُمْ وانصرفْ مُسْرِعاً   وإلَّا غَدَوْتُ حَديثَ ٱلورى
ومذ لَمَسَت كَفَّهُ أجْفَلَتْ   وقد عَلِمَتْ بِحلولِ ٱلرَّدى

هنا مُشْكِلٌ يا لَهُ مُشْكِلاً   يَضيقُ بهِ ذَرْعهُ ذو ٱلحِجَى
فقالتْ أرى رأيَ زَوْجِي بِهِ   وَقامَتْ فأحكتْ لهُ ما جرى
ولـكنَّها لَمْ تُسَمِّ ٱلمكانَ   ولا ٱسْمَ ٱلفتاةِ ولا ٱسمَ الفتى
تقصُّ عليهِ ٱلحديثَ كأمْرٍ   جرَى مُنْذُ حِينٍ لإحدى ٱلنِّسا

فقالَ لها زوجُها خيرُ ما أرى فعلُهُ نقلُ هذا الفتى
وإلقاؤُهُ قُربَ بيتِ أبيهِ سريعاً قُبيلَ هجومِ الضُّحى
وما الذنبُ ذنبُ التي زارها ولكنّما الذنبُ ذنبُ القضا
— علينا إذنْ فعلُ ما قُلتَهُ وقد جذبتْ يدَهُ فاقتفى
عليك بهِ . . . وأشارتْ إلى السّريرِ ، فإنَّ التّعيسَ هُنا
أجلْ رِيع ممّا رأى زوجُها ولكنّهُ لم يَغِبْ عن هُدى
وكانَ بزوجتِهِ مؤمناً ويعرفُها من ذواتِ التُّقى
فألقى الغلامَ على ظهرِهِ وسارَ بهِ تحتَ ذيلِ الدُّجى
وما زالَ حتى أتى بيتَهُ فألقاهُ في قُربِهِ وانثنى

ولمّا بدا في الصّباحِ الفتى صريعاً يُعانِقُ وجهَ الثّرى
تألّبتِ النّاسُ مِنْ حولِهِ وقدْ ملأُوا بالعويلِ الفضا
وقدْ فتكَ اليأسُ في أمِّهِ فكانتْ تُصدّعُ قلبَ الصّفا
وقيلتْ أقاويلُ في موتِهِ فمِنها صوابٌ ومِنها خطا

وبينا ٱلْجِنازَةُ وَسْطَ الطَّريقِ . يَحُفُّ بِها أَهْلُ تِلْكَ ٱلْقُرى
رَأى زَوْجُ سِلْفين عَيْنَ ٱلصَّوا بِ أَنْ لا يُثيرا ظُنُونَ ٱلْمَلا
فَقالَ لَهـا : إِنَّ هَذا ٱلْفَتى الَّذي صادَفَتْهُ ٱلْمَنايا هنـا
يَسيرُونَ فيهِ إلى قَبْرِهِ لِكَي يُودِعوهُ بَدارِ ٱلبقا
فَهَيَّا بنا أو نُثيرَ ٱلظُّنُونَ فَنَبْكي على ٱلْمَيْتِ في مَنْ بَكى

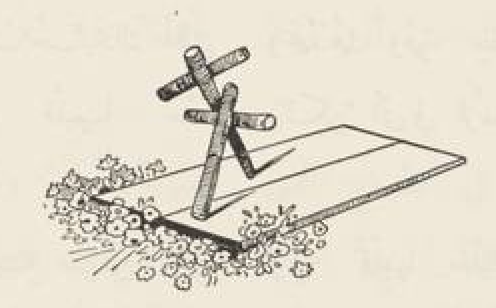
فكانَتْ كَمن لَمَعَتْ نجمةٌ لها فأَنارتْ ظَلامَ الضَّميرْ
وقد ذَكَرت حُبَّ ذاكَ ٱلفتى وَعَهْدَهُما وهْوَ طِفْلٌ صَغيرْ
فعادَ إلى قَلْبِها حُبُّهُ وَلَـكِنْ أَتى في الزَّمانِ ٱلأَخيرْ

أَتَتْ لِلْكَنيسةِ صَرْعَى ٱلأَسَى وَفي قَلْبِها غَلَيانٌ مُبيرْ
وَمُذْ أَبْصرَتهُ مُسَجًّى على فِراشِ الرَّدَى مِثْلَ غُصْنٍ نَضيرْ
مَشَتْ نَحْوَهُ بينَ تِلْكَ ٱلجُمُوعِ بِقَلْبٍ كَسيرٍ وجَفْنٍ مَطيرْ

وقد سَقَطَتْ فوقهُ لا تَعي	وقد أَطْلَقَتْ زَفْرَةً كالسَّعيرْ
لقد قتلَ ٱلحزنُ ذاكَ ٱلفتى	وَرَاعى بِقَتْلِ ٱلفتاةِ النَّظِيرْ

أتى ٱلآنَ « جيرومُ » في دَوْرِهِ	لِيُخْلي «لسلفينَ» نِصْفَ ٱلسَّرِيرْ
فَوارَوْهُما وهُما هٰكذا	وقدْ شيَّعا بالأسى والزَّفيرْ
هُما ٱفْترقا في ٱلحياةِ ولٰكنْ	قد ٱجتمعا بَعْدَها في ٱلحفيرْ
وقدْ فعلَ ٱلموتُ ما ليسَ يقوى	عَلَى فِعْلِهِ ٱلحُبُّ، وهْوَ القديرْ

١٩١٦



حلم عربيّ

من وحي « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني .

مَنْ لِي بِمَعْبَدَ وَابْنِ عا ئشةٍ وَمَالِكَ وَالْغَرِيضِ
بِرِئَاسَةِ ابنِ سَريجَ[1] مُلْتَئِمِينَ فِي الرَّوْضِ الْأَرِيضِ
وَبِشَاعِرِ الْغِيدِ ابْنِ مَخْزُومٍ[2] وَنَابِغَةِ الْقَرِيضِ
فِي مِثْلِ لَيْلَاتِ الْوَلِيدِ[3] تَقُولُ لِلْكَاسَاتِ فِيضِي
بَيْنَ الْكَوَاعِبِ مِنْ حَبَا بٍ وَالنَّوَاهِدِ مِنْ بَغِيضِ
يَخْطُرْنَ تِيهاً فِي غَلَا ئِلِهِنَّ مِنْ حُمْرٍ وَبِيضِ
فَإِذَا نَظَرْنَ فَمَنْ مَرِيضٍ وَإِذَا بَسَمْنَ فَمَنْ وَمِيضِ
عِشْ هٰكَذَا يَوْماً وَتَسْتَغْنِي عَنِ الْعُمْرِ الْعَرِيضِ

١٩١٧

---

(١) ابن سريج ومعبد وابن عائشة ومالك والغريض هم أشهر المغنين في دولة بني أمية .

(٢) ابن مخزوم هو عمر بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر العربي الشهير .

(٣) الوليد هو أحد خلفاء بني أمية المنغمسين في اللهو .

قبلاتُ الهوى

مَا كَانَ أَحلى قُبُلاتِ الهوى　　إنْ كُنتَ لا تذكرُ فاسألْ فمكْ

تمرُّ بي كأنَّني لمْ أكُنْ　　ثغرَكَ أوْ صدرَكَ أوْ معصَمكْ

لوْ مرَّ سيفٌ بيننَا لمْ نكُنْ　　نعلمُ هلْ أجرى دَمي أو دمَكْ

القُبلة الأولى

إنْ كانَ أحلى الحُبِّ أوّلَ قُبلةٍ　　ما ضرَّهُ لوْ ماتَ أوَّلَ عُمْرِهِ

كالزَّهرِ ماتَ مُكفناً بأريجهِ　　ووسيمِ نُضرتهِ ونشوةِ طُهرِهِ

كرهتُ الورد

إذا ما وردةٌ عرضتْ لِنذْلٍ　　كرِهتُ الوردَ تقبيلاً وشمّاً

لِشوكتهِ أحبُّ الوردَ حتى　　إذا يدُ سافلٍ غمزتهُ أدمى

المسلول

حسناءُ أيَّ فتىً رأتْ تَصِدِ ... قتلى الهوى فيها بلا عَدَدِ

بَصُرَتْ به رثَّ الثيابِ بلا ... مأوى بلا أهلٍ بلا بَلَدِ

فتخيَّرَتْهُ وكانَ شافعَهُ ... لُطفُ الغزالِ وقوَّةُ الأسدِ

ورأى الفتى الآمالَ باسمةً ... في وجهِها لفؤادِهِ الكمِدِ

والمالَ مِلءَ يديهِ يُنفقُهُ ... مُتَشَفِّياً إنفاقَ ذي حَرَدِ

ظمآنُ والأهواءُ جاريةٌ ... كالسَّلسبيلِ متى يَرِدْ يَرِدِ

روضٌ مِنَ اللذاتِ طيِّبةٌ ... أثمارُهُ خِلْوٌ مِنَ الرَّصَدِ

نِعَمٌ أفانينٌ يكادُ لها ... يختالُ مِنْ غلواهُ في بُرُدِ

ماضيهِ لو يدري بحاضرِهِ ... رُغمَ الأخوَّةِ ماتَ مِنْ حَسَدِ

سكرانُ والكاساتُ شاهدةٌ ... إنَّ الكؤوسَ لها مِنَ العُدَدِ

سَكْرانُ لا يَصْحُو كَسَكْرَتِهِ   أَمْساً وَسَكْرَتِهِ غداةَ غدِ

سَكْرانُ وَهْيَ تَزُقُّهُ قُبَلاً   وَيَزُقُّها وإذا تَزِدْ يَزِدِ

سَكْرانُ وَهْيَ تَمُصُّ مِنْ دَمِهِ   وَتُرِيهِ قَلْبَ الأُمِّ لِلوَلَدِ

سَكْرانُ حتّى رأسُهُ أبدًا   لا يَسْتَقِرُّ لِكَثْرَةِ المَيَدِ

«قالَتْ لَهُ : نَمْ ، نَمْ لِفَجْرِ غدِ   ضَعْ رَأسَكَ الواهي عَلَى كَبِدِي

نَمْ لا تُسَلِّطْ يا حَبيبِ عَلَى   مَخْمُورِ جِسْمِكَ قِلَّةَ الجَلَدِ

عَيْناكَ مُتْعَبتانِ مِنْ سَهَرٍ   وَيَداكَ راجِفَتانِ مِنْ جَهَدِ

لا ، لا أنامُ وَلا أذوقُ كَرًى   إنَّ النَّهارَ مَضَى وَلَمْ يَعُدِ

لا ، لا أنامُ وَلا أذوقُ كَرًى   أنا لَسْتُ مَنْ يَحْيا لِفَجْرِ غَدِ

سُلْمَى أُحِسُّ النَّارَ سائِلَةً   بِدَمِي وَتَجْرِي مَعْهُ في جَسَدِي

وأُحِسُّ قَلْبِي فاغِراً فَمَهُ   لِلْحُبِّ ، لِلَّذّاتِ ، لِلرَّغَدِ

إنْ ضاعَ يَوْمِي ما أسِفْتُ عَلَى   خُضَرِ الرَّبيعِ وزُرْقَةِ الجَلَدِ

— نَمْ لا تُكابِرْ كادَ رأسُكَ أنْ ... يَهْوي بِكَأْسِكَ غَيْرَ أنَّ يَدي
— يَهوي !.. نعمْ يا فِتْنَتي وَمُنى ... نَفْسِي وَزَهْرَةَ جَنَّةِ الْخُلْدِ
يَهوي !.. وَلِمْ لا والشَّبابُ ذَوَى ... وَعلى شَبَابِي كانَ مُعْتَمَدِي
لَمْ تُبْقِ لِي مِنِّي سِوى رَمَقٍ ... مُتَراوِحٍ في أضْلُعٍ هُمُدِ
رَبَّاهُ. مُذْ يَوْمَيْنِ كُنْتُ فَتًى ... لِي قُوَّتِي وَشَبيبَتِي وَغَدِي
وَالْيَوْمَ أُسْرِعُ لِلْبِلى وَأنا ... لَمْ أَبْلُغِ الْعِشْرِينَ أَوْ أَكَدِ
سُلْمايَ إنَّكِ أَنْتِ قَاتِلَتِي ... فَجَمِيلُ جِسْمِكِ مَدْفَنِي الْأَبَدِي
وَطَوِيلُ شَعْرِكِ صارَ لِي كَفَناً ... كَفَنَ الشَّبابِ ذَوَى وَكانَ نَدِي
سُلْمى أطْفِئِي الْأَنْوارَ وَافْتَتِحِي ... هذي الكُوَى لِنَسائِمٍ جُدُدِ
وَدَعِي شُعَاعَ الشَّمْسِ يَضْحَكُ لِي ... فَشُعَاعُها بَرْدٌ على كَبِدِي
وَدَعِي أريجَ الزَّهْرِ يُنْعِشُنِي ... وَهَدِيلَ طَيْرِ الْأَيْكَةِ الْغَرِدِ
أنا إنْ قَضَيْتُ هَوًى فلا طَلَعَتْ ... شَمْسُ الضُّحَى بَعْدِي على أحَدِ »

— أنا إنْ قتلتكَ كيفَ تحفظُني إنْ صحّ زعمُكَ حفظَ مقتصِدِ
أوْ كنتَ متَّ لِلَيلتَيْ جهدٍ يا مُهجتي خفِّفْ وَلا تزِدِ

— لا . أنتِ مُحْييَتي ومُنقذَتي مِنْ عَيشيَ ٱلْمُتنكِّرِ ٱلنَّكِدِ
أفأنتِ قاتِلتي ؟ كذبتُ أنا لوْلاكِ كُنتُ أذلَّ مِنْ وَتدِ
لٰكِنَّما ٱلعُشّاقُ عادَتُهُمْ ذِكْرُ ٱلمَنايا ذِكرَ مُفتئِدِ
يَبكُونَ مِنْ جزَعٍ لِلذَّتِهِمْ أنْ لا تكُونَ طويلةَ ٱلأمَدِ
قلبي لِقلبِكِ خافِقٌ أبداً وَيظلُّ يخفُقُ غيرَ مُتّئِدِ

— إنْ كانَ ذاكَ فهٰذهِ شفَتي مَنْ يشْتعِلْ في ٱلحُبِّ يبْترِدِ
وتَصافَحا فتعانَقا فهُما رُوحانِ خافِقتانِ في جَسدِ

نَهَبا أُوَيقاتِ ٱلصَّفاءِ وَقدْ عَكفا عليْها عكْفَ مُجتهِدِ
وَترَشّفا كأسَ ٱلغرامِ وَما ترَكا بِها مِنْ نَهْلةٍ لِصَدي

وَمَشَى ٱلْهَوَى بِهِمَا كَعَادَتِهِ وَٱلْبَحْرُ لا يَخْلُو مِنَ ٱلزَّبَدِ

سَنَةٌ مَضَتْ فَإِذَا خَرَجْتَ إِلى ذَاكَ ٱلطَّرِيقِ بِظَاهِرِ ٱلْبَلَدِ
وَلَفَتَّ وَجْهَكَ يَمْنَةً فَتَرَى وَجْهًا مَتَى تَذْكُرْهُ تَرْتَعِدِ
هَذَا ٱلْفَتَى فِي ٱلْأَمْسِ صَارَ إِلى رَجُلٍ هَزِيلِ ٱلْجِسْمِ مُنْجَرِدِ
مُتَلَجْلِجِ ٱلْأَلْفَاظِ مُضْطَرِبٍ متواصلِ ٱلأنفاسِ مُطَّرِدِ
مُتَجَعِّدِ الخَدَّيْنِ مِنْ سَرَفٍ مُتَكَسِّرِ الجَفْنَيْنِ مِنْ سُهُدِ
عَيْنَاهُ عَالِقَتَانِ فِي نَفَقٍ كَسِرَاجِ كُوخٍ نِصْفَ مُتَّقِدِ
أَوْ كَالْحُبَاحِبِ بَاخَ لامِعُهُ يَبْدُو مِنَ ٱلْوَجَنَاتِ فِي خُدُدِ
تَهْتَزُّ أَنْمُلُهُ فَتَحْسَبُهَا وَرَقَ الخَرِيفِ أُصِيبَ بِالبَرَدِ
وَيَكَادُ يَحْمِلُهُ لِمَا تَرَكَتْ مِنْهُ الصَّبَابَةُ مِخْلَبُ الصُّرَدِ
يَمْشِي بِعِلَّتِهِ عَلَى مَهَلٍ فَكَأَنَّهُ يَمْشِي عَلَى قَصَدِ
وَيَمُجُّ أَحْيَانًا دَمًا فَعَلَى مِنْدِيلِهِ قِطَعٌ مِنَ ٱلْكَبِدِ
قِطَعٌ تَآبِينٌ مُفَجَّعَةٌ مَكْتُوبَةٌ بِدَمٍ بِغَيْرِ يَدِ

قِطَعٌ تقُولُ لَهُ : تمُوتُ غَداً | وإذا ترِقُّ تقُولُ بَعْدَ غَدِ
وَٱلموْتُ أَرْحَمُ زَائِرٍ لِفَتًى | مُتزَمِّلٍ بِالدَّاء مُعْتَمِدِ
قَدْ كَانَ مُنْتَحِراً لَوَ أنَّ لَهُ | شِبْهَ ٱلقُوَى في جِسْمِهِ الخَضِدِ
لٰكِنَّهُ وَٱلدَّاء يَنْهَشُهُ | كَالشِّلْوِ بَيْنَ مَخَالِبِ ٱلأَسَدِ
جَلْدٌ عَلَى ٱلآلامِ يُنْجِدُهُ | طَلَلُ الشَّبَابِ وَدَارِسُ ٱلصَّيَدِ
مُتَوَحِّدٌ أَمَّا ٱلحَبِيبُ فَمُذْ | خَافَ ٱنتِقَالَ ٱلدَّاء لَمْ يَعُدِ
فَقَضَى وَلَمْ يَأْنَسْ بِذِي رَحِمٍ | يَأْسُو وَلَمْ يَسْعَدْ بِمُفْتَقِدِ
حَاشَا مَدَامِعَهُ وَكُنَّ لَهُ | غَوْثاً مَتَى يَسْأَلْ نَدًى تَجُدِ

أَينَ ٱلَّتِي عَلِقَتْ بِهِ غُصُناً | حُلْوَ ٱلمَجَانِي نَاضِرَ ٱلمَلَدِ
أَينَ ٱلَّتِي كَانَتْ تقُولُ لَهُ | ضَعْ رَأْسَكَ ٱلوَاهِي عَلَى كَبِدِي
نَمْ لَا تُسَلِّطْ يَاحَبِيبِ عَلَى | مَخْمُورِ جِسْمِكَ قِلَّةَ ٱلجَلَدِ
مَاتَ الشَّقِيُّ بِهَا وَقَدْ سَلِمَتْ | يَا لِلْقَتِيلِ قَضَى بِلَا قَوَدِ

مَاتَ الْفَتَى فَأُقِيمَ فِي جَدَثٍ مُسْتَوْحِشِ الْأَرْجَاءِ مُنْفَرِدِ

مُتَجَلِّلٍ بِالْفَقْرِ مُؤْتَزِرٍ بِالنَّبْتِ مِنْ مُتَيَبِّسٍ وَنَدِي

وَتَزُورُهُ حِيناً فَتُؤْنِسُهُ بَعْضُ الطُّيُورِ بِصَوْتِهَا الْغَرِدِ

كَتَبُوا عَلَى حَجَرَاتِهِ بِدَمٍ سَطْراً بِهِ عِظَةٌ لِذِي رَشَدِ

هَذَا قَتِيلُ هَوًى بِبِنْتِ هَوًى فَإِذَا مَرَرْتَ بِأُخْتِهَا فَحِدِ

١٩١٩



أغضاضة يا روض؟

عِشْ أنتَ . إني مُتُّ بعدَكْ   وأطِلْ إلى ما شئتَ صدَّكْ
كانتْ بقايا للغرا   م بمهجتي فختمتُ بعدَكْ
أنقى من الفجرِ الضحو   كِ وقدْ أعرتَ الفجرَ خدَّكْ
وأرقُّ من طبعِ النسيـ   ـمِ وقدْ خلعتَ عليهِ بُرْدَكْ
وألذُّ من كأسِ النديـ   ـمِ وقدْ أبحتَ الكأسَ شهدَكْ

ما كانَ ضرَّكَ لو عدلـ   ـتَ أما رأتْ عيناكَ قدَّكْ
وَجعلتَ من جفنيَّ متـ   ـكأً ومنْ عينيَّ مهدَكْ
ورفعتَ بي عرشَ الهوى   ورفعتَ فوقَ العرشِ بندَكْ

يا منَ أساءَ بيَ الظنو   نَ تلفتني وثلمتَ حدَّكْ

إنْ لَمْ يَكُنْ أدَبي فَخُلْقُكَ كَانَ أولى أنْ يَصُدَّكْ
أغضَاضَةً يا رَوْضُ إنْ أنَا شَاقَنِي فَشَمَمْتُ وَرْدَكْ
وَمَلامَةً يا قَطْرُ إنْ أنا رَاقَنِي فأَمَمْتُ وِرْدَكْ

وَحياةِ عَيْنِكَ وَهْيَ عِنْدِي مِثْلَمَا ٱلقُرْآنُ عِنْدَكْ
مَا قَلْبُ أُمِّكَ إنْ تَفُتْ رِقْهَا وَلَمْ تَبْلُغْ أشُدَّكْ
فَهَوَتْ عَلَيْكَ بِصَدْرِهَا يَوْمَ ٱلفِرَاقِ لِتَسْتَرِدَّكْ
بأشَدَّ مِنْ خَفَقَانِ قَلْبِي يَوْمَ قِيلَ خَفَرْتَ عَهْدَكْ

١٩٢٤



خيالٌ من دُمّر

يا عيُوناً أوحتْ إلينا الغراما ... أجُنوناً سقيْتِنا أمْ مُداما

آيةُ الحُبّ أنْ تظلّي ربيعاً ... لِفؤادي وأنْ يظلَّ هُياما

أيُّها الدَّوحُ دوحُ دُمّرَ إنّي ... لستُ أنسى تلكَ اللّيالي اليتامى

يا بِساطَ الهوى ويا وترَ الشِّعـ ... ـرِ سلاماً ويا شقيقَ النّدامى

سألتْني وكفُّها فوقَ قلبي ... عمرَكَ اللهَ هلْ تُحبُّ الشّاما

قلتُ حُبّاً زقَّ الحمامةِ للفرْ ... خِ فلِمْ لا نكونُ ذاكَ الحماما ؟

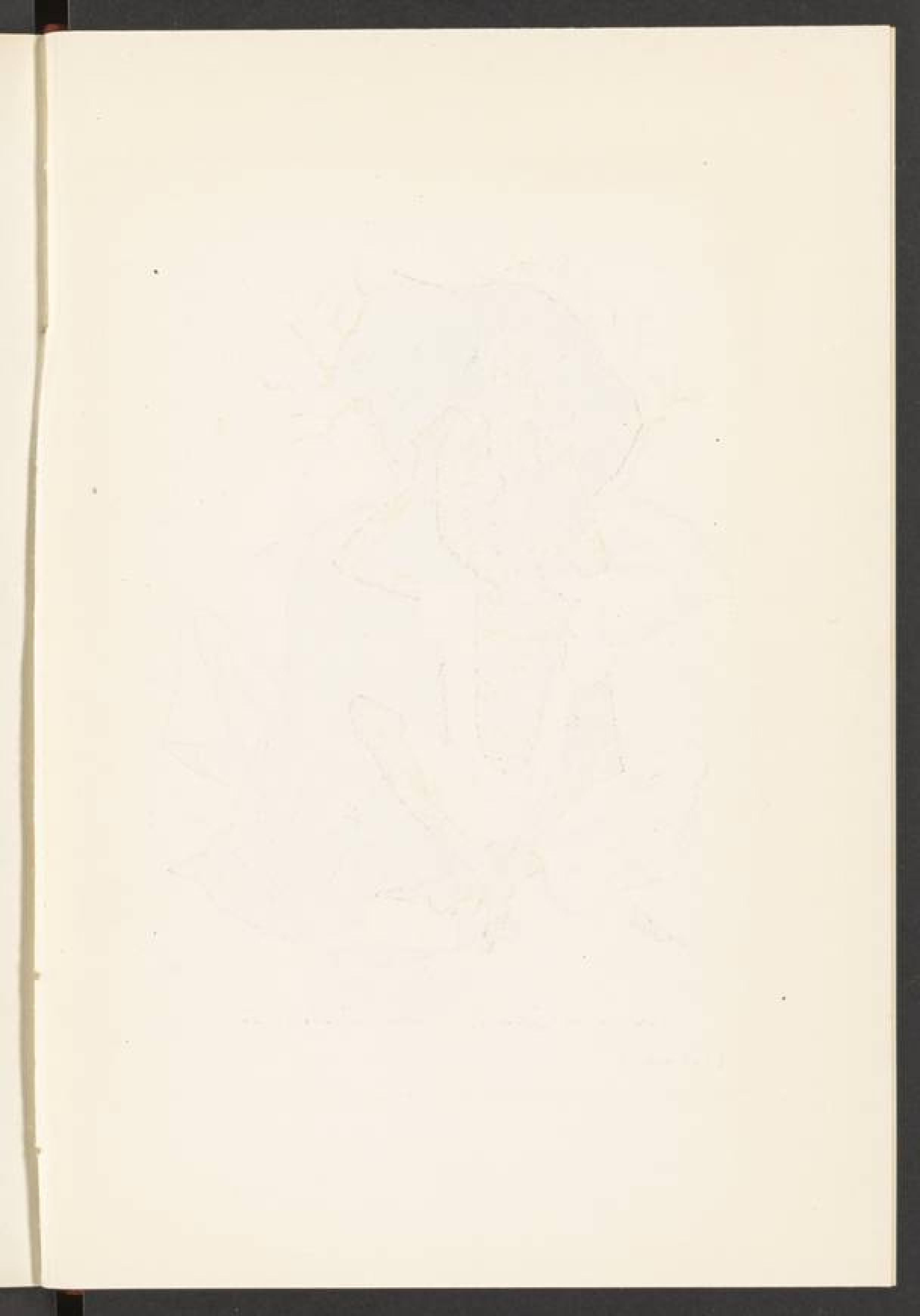
١٩٣٢





سكران والكاسات شاهدة   إن الكئوس لها من العدد

(صفحة ١٠٤)



زحلة

في جلسة على الوادي بين إخوان الصفاء .

يَا زَحْلَ كَمْ مِنْ شَاعِرٍ لكِ عَاشِقٍ لَوْلا الَّذي تُوحِينَ لَمْ يَكُ شَاعِرَا

أَسْرَفْتِ فِي فِتَنِ الجَمَالِ كَأَنَّمَا تَخِذَ الجَمَالُ عَلَى ذُرَاكِ مَنَابِرَا

وَالنَّهْرُ رُوحُ العَاشِقِينَ وَدَمْعُهُمْ مُلْقًى عَلَى قَدَمَيْكِ يَلْهَثُ حَائِرَا

سَالَتْ جِرَاحَاتُ الهَوَى فِي صَدْرِهِ لَيْلًا فَقَبَّلَهَا النَّسِيمُ مُحَاذِرَا

وَ«السَّهْلُ»[1] يَحْلُمُ مُنْذُ كَانَ بِزَوْرَةٍ لَبِسَ الحُلِيَّ لَهَا نَدًى وَأَزَاهِرَا

لَوْ كَانَ يُمْكِنُهَا الرُّبَى لَتَسَابَقَتْ لِأَعَزِّهَا تَسْعَى إِلَيْكِ حَوَاسِرَا

وَتَقَطَّعَتْ خُصَلُ الحِسَانِ وَنُشِّرَتْ بَدَلَ الكُرُومِ عَلَى التِّلَالِ غَدَائِرَا

قُلْ لِلأُلَى أَحْبَبْتُ زَحْلَةَ فِيهِمِ أَنَا لَا أَزَالُ لَهُمْ مُحِبًّا ذَاكِرَا

لَبَكَيْتُهُمْ لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ أَدْمُعًا وَعَطَفْتُهُمْ لَوْ كُنْتُ أَعْطِفُ هَاجِرَا

---

(١) سهل البقاع .

يَتَمَثَّلُ ٱلأَمْسُ ٱلْبَعِيدُ لِخَاطِرِي فَأَكَادُ أَرْشُفُهُ لَمًى وَمَحَاجِرَا
إِنَّ ٱلسِّنِينَ دَقَائِقٌ لِمُتَيَّمٍ ذَكَرُوا لَهُ ٱلْمَاضِي فَمَلَّ ٱلْحَاضِرَا

يَا جَنَّةَ ٱلدُّنْيَا وَسَيِّدَةَ ٱلرُّبَى هَذَا رَسُولُ ٱلشِّعْرِ جَاءَكِ زَائِرَا
إِنْ شِئْتِ شَقَّ مِنَ ٱلرِّيَاضِ صَحَائِفاً وَأَصَابَ مِنْ أَزْهَارِهِنَّ مَحَابِرَا
وَأَذَابَ ذَرَّاتِ ٱلضِّيَاءِ قَصَائِداً حَتَّى تَكُونَ لِمِعْصَمَيْكِ أَسَاوِرَا
هَلْ تُنْبِتِينَ سِوَى ٱلنِّسَاءِ خَوَافِراً أَوْ تُطْلِعِينَ سِوَى ٱلرِّجَالِ مَفَاخِرَا
إِنْ رَقَّ شِعْرٌ كُنْتِ بَيْتَ قَصِيدِهِ أَوْ رَاقَ وَجْهٌ كُنْتِ فِيهِ ٱلنَّاظِرَا

١٩٣٢



الجبل الملهم

إلى الشاعر شارل قرم وقد أهدى إلى الشاعر
ديوانه « الجبل الملهم » باللغة الفرنسية .

زَهْرَةٌ مِلْءُ عُيُونِ ٱلْأَمَلِ   في ٱلرُّبَى ٱلْخَضْراءْ
نَبَتَتْ بَيْنَ ٱزْرِقَاقِ ٱلْجَدْوَلِ   وَٱلسَّما ٱلزَّرْقاءْ

هِيَ حُلْمُ ٱلْغَابِ فِي ٱلسَّفْحِ ٱلْوَدِيعْ   سَلْوَةُ ٱلرَّاعِي إذا ضَاعَ ٱلْقَطِيعْ
وَرَبِيعُ ٱلشِّعْرِ إنْ مَاتَ ٱلرَّبِيعْ   عَلَّمَ ٱلْبُلْبُلَ سِحْرَ ٱلْبُلْبُلِ
لِعْبُها بَيْنَ ٱزْرِقَاقِ ٱلْجَدْوَلِ   وَٱلسَّما ٱلزَّرْقاءْ

شَعْرُ صِنِّينَ ٱلْجَمِيلُ ٱلْأَبْيَضُ   يَفْرِشُ ٱلْأَرْضَ لَها إذْ تَرْكُضُ
وعُيُونُ ٱلْأَرْزِ لَيْسَتْ تُغْمِضُ   حَائِطًا « قِبْلَتَهُ » بالقُبَلِ
هَائِماً بَيْنَ ٱزْرِقَاقِ ٱلْجَدْوَلِ   وَٱلسَّما ٱلزَّرْقاءْ

وَبُنَيَّاتُ ٱلقُرَى قُرْبَ ٱلمغيبِ   عِنْدَمَا عُدْنَ مِنَ ٱلْكَرْمِ ٱلحَبِيبِ
بالعناقيدِ ، سَرَتْ نفحةُ طِيبِ   فَإِذا ٱلزَّهْرَةُ تَرْنُو مِنْ عَلِ
وَلَها زُرْقَةُ مَاءِ ٱلْجَدْوَلِ   وَٱلسَّما ٱلزَّرْقاءْ

إنْ يَمُرَّ ٱلغيمُ أَسْرَاباً عَلَيْها   يَتَّخِذْ شَكْلاً لِيُغْرِي نَاظِرِيها
صُوَراً أَوْ لُعَباً تحلُو لَدَيْهَا   تَارَةً يَدْنُو وَحِيناً يَعْتَلِي
رَاقِصًا بَيْنَ ازْرِقَاقِ الْجَدْوَلِ   وَٱلسَّما ٱلزَّرْقاءْ

عِنْدما ٱلنَّحلُ ٱنثنى عَنْ ثَغْرِها   سَأَلَتْهُ أُمُّهُ عَنْ سِرِّها
وَٱسْمِ مَنْ تَحْمِلُهُ في صَدْرِها   قَالَ مَهْ ، هٰذِهِ فَخْرُ ٱلْجَبَلِ
هٰذِهِ الزَّهْرَةُ بِنْتُ الْجَدْوَلِ   وَٱلسَّما ٱلزَّرْقاءْ

نَشَرَتْ في «الْغَرْبِ» شَيْئاً مِنْ شَذَاها   فَانْتَشَى حَتَّى انْحَنَى يَلْثِمُ فَاهَا

لَيْتَهُ يَذْكُرُ بِالرِّفْقِ «أَباها»[1] وَهْوَ إنْ يَفْعَلْ وَإنْ لَمْ يَفْعَلِ
فَفِدَى ٱلزَّهْرَةِ بِنْتِ ٱلْجَدْوَلِ وَٱلسَّما ٱلزَّرْقاءْ

(١) يريد به الشرق .



سَلِي اللَّيل

سَلِي ٱللَّيْلَ عَنْ عَيْنِي إِذَا رَابَكِ ٱلْفَجْرُ   أَفَاَزَ بِهَا إِلَّاكِ وَٱلْأَنْجُمُ ٱلزُّهْرُ

قَسَمْتُ فُؤَادِي بَيْنَ بُؤْسِي وَٱلْهَوَى   فَهٰذَا لَهُ شَطْرٌ وَهٰذَا لَهُ شَطْرُ

حَيَاتِيَ هَلْ ثَغْرُ ٱلْبَنَفْسَجِ يَفْتَرُّ   كَعَهْدِي وَهَلْ يَجْرِي كَعَادَتِهِ ٱلنَّهْرُ

وَهَلْ يَذْكُرُ ٱلصَّفْصَافُ إِذْ نَحْنُ عِنْدَهُ   وَفِي أُذُنِ ٱلظَّلْمَاءِ مِنْ هَمْسِنَا نَقْرُ

سُقِيتُ مَرَارَاتِ ٱلْحَيَاةِ فَلَمْ أَجِدْ   كَمِثْلِ ٱلَّذِي يَسْقِيهِ مِنْ كَفِّكِ ٱلْهَجْرُ

وَأَشْقَى شَقِيٍّ فِي ٱلْوَرَى قَلْبُ شَاعِرٍ   نَبَا ٱلْحَظُّ عَنْهُ وَٱلْتَقَى ٱلْحُبُّ وَٱلْفَقْرُ

فَفِي كُلِّ أُفْقٍ مِنْ أَمَانِيهِ مَأْتَمٌ   وَفِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْ جَوَارِحِهِ قَبْرُ

١٩٢٣



سلمى الكورانية

ألقيت هذه القصيدة في الحفلة التي أقامتها جمعية من كرائم السيدات في بشمزين من قضاء الكورة في أيلول ١٩٣٣

تَعَجَّبَ ٱللَّيْلُ مِنْهَا عِنْدَمَا بَرَزَتْ ... تُسَلْسِلُ ٱلنُّورَ في عَيْنَيْهِ عَيْنَاهَا

فَظَنَّهَا وَهْيَ عِنْدَ ٱلْمَاءِ قَائِمَةٌ ... مَنَارَةً ضَمَّهَا ٱلشَّاطِي وَفَدَّاهَا

وَتَمْتَمَتْ نَجْمَةٌ في أُذْنِ جَارَتِهَا ... لَمَّا رَأَتْهَا وَجُنَّتْ عِنْدَ مَرْآهَا

أُنْظُرْنَ يَا إِخْوَتَا هٰذِي شَقِيقَتُنَا ... فَمَنْ تُرَاهُ عَلَى ٱلْغَبْرَاءِ أَلْقَاهَا ؟

أَتِلْكَ مَنْ حَدَّثَتْ عَنْهَا عَجَائِزُنَا ؟ ... وَقُلْنَ إِنَّ مَلِيكَ ٱلْجِنِّ يَهْوَاهَا

فَأَطْلَقَ ٱلْمَارِدَ ٱلْجَبَّارَ عَاصِفَةً ... تَغْزُو ٱلنُّجُومَ فَكَانَتْ مِنْ سَبَايَاهَا

قَصَّتْ نُجَيْمَتُنَا ٱلْحَسْنَاءُ بِدْعَتَهَا ... عَنْ «نَجْمَةِ ٱلشَّطِّ» وَٱلْآذَانُ تَرْعَاهَا

وَكَانَ بِٱلْقُرْبِ مِنْهَا كَوْكَبٌ غَزِلٌ ... يُصْغِي، فَلَمَّا «رَآهَا» ، سَبَّحَ ٱللّٰهَ

وَرَاحَ يُقْسِمُ أَنْ لَا بَاتَ لَيْلَتَهُ ... إِلَّا عَلَى شَفَتَيْهَا لَاثِمًا فَاهَا

يامَلعَبَ ٱلشَّطِ من «أنفا»[1] أَتعلَمُ مَن داسَت على صَدرِكَ ٱلْبازي رِجلاها

وَيا نَواتِئَ من مَوجٍ وَمِنْ زَبَدٍ أَثنى عَليكِ وحسبُ ٱلفخرِ نَهداها

وَأنتِ يا هَضبَةً فازتْ بِعزَّتِها فَدَتكِ من هَضَباتِ ٱلشِّعرِ أَسماها

. . . .

وَخَيَّمَ ٱلصَّمتُ في ٱلشَّاطِي سِوى لُجَجٍ بَعيدَةٍ تَتَرامى فيهِ أصداها

وَنائحٍ من «عتابا»[2] فَوقَ مُتَّكأٍ مِنَ ٱلصُّخورِ تُغنّاهُ شَقيقاها

وَٱلشَّطُّ في ٱلصَّيفِ جَنَّاتٌ مُفَوَّفَةٌ كَمْ فاخَرَ ٱلجَبَلَ ٱلعالي وكَمْ باهى

إذا أرتكَ ٱلجِبالُ ٱلغيدَ كاسِيَةً فَالشَّطُّ أَذوَقُ مِنها حينَ عَرّاها

أَمّا سُلَيمى فَلا أَدري أَدمعَتُها تِلكَ ٱلَّتي لَمَعَتْ لي أَمْ ثَناياها

وَذَلِكَ ٱلأَبيَضُ ٱلمَنشورُ في يَدِها مِنديلُها أَمْ سُطورُ ٱلحُبِّ تَقرَاها

كأنّما ٱلبدرُ قِدماً كانَ خادِمَها فَمُذْ أَرادَتْهُ نادَتْهُ فَلَبّاها

تَقرا هَواها على أنوارِ غُرَّتِهِ وقَدْ تُسِرُّ إِليهِ بَعضَ نَجواها

---

(١) أنفا : اسم بلدة على الشط من قرى الكورة .   (٢) نوع من الغناء اللبناني .

وَما أصابَ الهوى نفساً وأشقاها إلا وألقتْ بأذنِ البدرِ شكواها

كأنَّهُ حَكَمُ العُشّاقِ كم وسِعَتْ بَيضاء جُبّتِهِ شتّى قضاياها

أو كاهِنُ الأزلِ الحالي بِشَيبَتِهِ قُبالُ توبتِها ماحي خطاياها

أمّا سُلَيمى فما زاغتْ ولا عثرَتْ فالحُبُّ والطُهرُ يُمناها ويُسراها

تعلّقتهُ طريراً كالهلالِ على غُصنٍ من البانِ ماضي العزمِ تيّاها

نمتهُ للشرفِ الأسمى عمومتُها ونشأتهُ على ما كانَ جدّاها

من كانتِ الكورةُ الخضراءُ منبتَهُ فليسَ يُنبِتُ إلّا المجدَ والجاها

. . . .

أحبَّها وأحبَّتهُ وعاهدَها أنْ لا يُظلّلَهُ في الحُبِّ إلّاها

وأنَّهُ سوفَ يَسعى سَعيَ مُجتَهِدٍ حتى يُوطِّئَ «للإكليلِ» مسراها

فيَبنيا في ظِلالِ الأرزِ وكرَهُما ويجرعا من كؤوسِ الحُبِّ أشهاها

وراحَ يقرعُ بابَ الرزقِ مشتملاً بعزمةٍ سنَّها عِلمٌ وأمضاها

حتّى انثنى وعلى أجفانِهِ بَلَلٌ ودَّ الإباءُ لها لو كانَ أعماها

لُبنانُ ما لِفراخِ النَّسْرِ جائِعَةً وَالْأَرضُ أَرضُكَ أَعْلاها وَأَدْناها

أَلِلغَريبِ اخْتِيالٌ في مَسارِحِها وَلِلقَريبِ انْزِواءٌ في زَواياها ؟

لا، لَمْ أَجِدْ لَكَ في الْبُلْدانِ من شَبَهٍ ولا لِناسِكَ بَيْنَ النَّاسِ أَشْباها

لَوْ مَسَّ غَيْرَكَ هذا الذُّلُّ من أَسَدٍ لَعَضَّ جَبْهَتَهُ سَيْفٌ وحَنَّاها

قالوا «الصَّداقَة»[1] قُلْنا أَيْنَ شاهِدُها أَعِنْدَما تَلْفِظُ الأَجْداثُ مَوْتاها

أَكُلَّما طُورِدَ الشُّذَّاذُ في بَلَدٍ أَوْما «العَميدُ» ولُبْنانُ تَبَنَّاها

ونَحْنُ لو نَوَّلوا الأَرْزاءَ بُغْيَتَها وأَمَّرُوها لَكُنَّا من رَعاياها

بَكَى فُؤادٌ لِسُلْمَى والبِلادِ معاً وأَنْفُسٍ رَضِيَتْ في الذُّلِّ مَثْواها

فَحَمَّلَ المَوْجَ من أَشْجانِهِ حُمَماً وشَدَّ يَضْرِبُ أُولاها بِأُخْراها

وقالَ — واليأسُ يَمْشي في جَوارِحِهِ — دِيارُ سُلْمَى عَلَى رُغْمٍ هَجَرْناها

كأَنَّ ما غَرَسَ الآباءُ من ثَمَرٍ لِغَيْرِ أَبْنائِهِم قَدْ طابَ مَجْناها

وَما بَنَوْهُ عَلَى الأَحْقابِ من أُطُمٍ لِغَيْرِ أَبْنائِهِم قَدْ حَلَّ سُكْناها

(١) يريد بها الشاعر ما كانوا يسمونه الصداقة التقليدية بين لبنان وفرنسا .

مَنْ ظَنَّ أَنَّ ٱلرَّياحينَ ٱلَّتي سُقِيَتْ   دُمُوعَنا ٱلحُمْرَ قَدْ ضَنَّتْ بِرَيَّاها؟

خمسٌ مِنَ السَّنَواتِ السُّودِ لا رجعتْ   صَبَّتْ عَلَى رأسِ لُبنانٍ بلاياها[1]
وَحُبُّ سُلْمَى وَرِيقٌ مِثْلُ أَوَّلِهِ   سَقتْهُ مِنْ ذِكْرياتِ الأَمسِ أَنْدَاها
تَمْضي لِواجِبِها حتى إِذا ٱنْصَرَفَتْ   فَلَيْسَ يَشْغَلُها إِلَّا « فُؤَادَاها »

سَلْمَى أَرَى الشَّمْسَ في خَدَّيْكِ ضاحِكَةً   وكُنْتِ كالغَيْمَةِ ٱلمَقْطُوبِ جَفْناها
أَنَفْحَةٌ مِن « فُؤَادٍ »؟ كِدْتُ أَقْرَؤُها   فَفي عُيُونِكِ مَبْناها وَمَعْناها
أَمْ سَوْرَةٌ مِنْ عِتَابٍ؟ أَيُّ فاجِئَةٍ   في لَحْظَةٍ صَبَغَ ٱلخَدَّيْنِ لَوْناها
قُولي فَلَيْسَ سِوَى ٱلخُلْجانِ تَسْمَعُنا   وَرَقْرِقيها سُلافاً فَوْقَ حَصْباها
أَوْ فَأْمُرِي ٱلطِّرْسَ يَغْدُو لِلْهَوَى قُبَلًا   حُمْراً تُرَصِّعُ أَجْياداً وَأَفْواها

وأَشْرَفَ ٱلبَدْرُ يَهْوِي نَحْوَ مَغْرِبِهِ   حَتَّى أَتَى ٱلضِّفَّةَ ٱلأُخْرَى وَحاذاها

(١) إشارة إلى سنوات الحرب العالمية الأولى.

وَقَدْ تَحَدَّبَ فَوْقَ ٱلْبَحْرِ يَفْحَصُهُ   كَغَادَةٍ – وَهْيَ تَلْهُو – ضَاعَ قُرْطَاهَا

فَٱسْتَوْقَفَتْهُ وَقَالَتْ – وَهْيَ كَاسِفَةٌ –   رِسَالَةٌ «لِفُؤَادٍ» أَوْ مُؤَدَّاهَا

قُلْ لِلْحَبِيبِ إِذَا طَابَ ٱلْبِعَادُ لَهُ   وَنَقَّلَ ٱلنَّفْسَ مِنْ سَلْمَى لِلَيْلَاهَا

وَٱسْتَأْسَرَتْهُ وَإِخْوَانًا لَهُ سَبَقُوا   مَظَاهِرٌ مِنْ رَخَاءٍ مَا عَرَفْنَاهَا

إِنَّا إِذَا ضَيَّعَ ٱلْأَوْطَانَ فِتْيَتُهَا   وَٱسْتَوْثَقُوا بِسِوَاهَا مَا أَضَعْنَاهَا

حَسْبُ ٱلْبُنُوَّةِ إِنْ ضَاقَ ٱلرِّجَالُ بِهَا   أَنَّ ٱلَّتِي أَرْضَعَتْهَا ٱلْمَجْدَ أُنْثَاهَا



زاهِـرةُ الرُّبى

احتفل أصدقاء الوطني فارس مشرق بإقامة تمثال له في ضهور الشوير وقد ألقيت هذه القصيدة في تلك الحفلة .

يا أُختَ زاهِرةِ الرُّبى كمْ قُبلةٍ — مِنْ عاشِقٍ وتحيَّةٍ مِنْ شيِّقِ

لمْ أنسَ حينَ دخلتُ روضكِ غدْوةً — والزَّهْرُ بيْنَ مُزرَّرٍ ومُشقَّقِ

فقطفتُ أوَّلَ قُبْلةٍ مِنْ وَرْدةٍ — ورشفتُ أوَّلَ مَبْسِمٍ مِنْ زَنْبقِ

لي فيكِ عِنْدَ المُنْحنى وعقيقهِ — ذِكْرى تطوفُ بِالجُفُونِ وتَسْتقي

غذيْتُ ماضيها بأكْثرِ ما مضى — مِنْ صبْوتي واليومَ جئتُ بِما بقي

بأخي هوًى مُتماسِكٍ في أضْلُعي — سمْحٍ على شِيَعِ الجمالِ مُفرَّقِ

شُقَّتْ مرائرُهُ أسًى وتأوُّهاً — أنْ فاتهُ الحُسْنُ الَّذي لمْ يُخْلقِ

ما كانَ ضرَّ اللهَ لوْ سعفَ الصِّبا — فأطالَ في أجلِ الشَّبابِ الرَّيِّقِ

ذهبتْ بنُضْرتهِ مُكافحةُ الهوى — حتى ارْعوى عنْ أغصُنٍ لمْ تورِقِ

مازلتُ أتْبعُ الجمالَ فلمْ أجِدْ — حُسْناً يدومُ وجِدَّةً لمْ تَخْلقِ

إلاّكِ «ياضهرَ الشُّويْرِ» فأنتِ مِنْ — حدَثِ اللّيالي والخُلودِ بموْثقِ

حَسَدَتْ مَحَاسِنَكَ الرُّبَى فَتَأَوَّهَتْ ... غُدْرَانُهَا فِي جَفْنِهَا الْمُغْرَوْرِقِ

أَفَشَامِخٌ مِنْهَا بِمَفْرِقِ تَائِهٍ ... وَلَأَنْتِ أَجْمَلُ وَرْدَةٍ فِي مَفْرِقِ

صَلَّى لَكِ الْوَادِي بِرَهْبَةِ نَاسِكٍ ... وَضَبَابِ مِبْخَرَةٍ وَهَامَةِ مُطْرِقِ

وَأَبُو الرُّبَى صِنِّينُ قَامَ كَشَمْعَةٍ ... بَيْضَاءَ تُمْعِنُ فِي السَّحَابِ وَتَرْتَقِي

يَتَوَقَّدُ النَّجْمُ السَّنِيُّ بِرَأْسِهَا ... فَتَرَى بَوَادِرَ دَمْعِهَا الْمُتَرَقْرِقِ

لَكِ فِي السَّمَاءِ نُجُومُهَا فَتَلَشَّى ... وَعَلَى الْمِهَادِ زُهُورُهَا فَتَمَنْطَقِي

وَعَلَيْكِ مِنْ وَشْيِ الْحَضَارَةِ مِطْرَفٌ ... رَفَّتْ عَلَيْهِ صَنْعَةُ الْمُتَأَنِّقِ

فَإِذَا وَدَعْتِ فَرِقَّةٌ وَتَعَفُّفٌ ... وَإِذَا زَهَوْتِ ـ وَلَا إِخَالُ ـ فَأَخْلِقِ

إِيهٍ فَتَى لُبْنَانَ كَمْ مِنْ وَقْفَةٍ ... لَكَ فِيهِ بَيْنَ مَغِيبِهِ وَالْمَشْرِقِ

وَالْأُفْقُ أَكْدَرُ وَالْخُطُوبُ حَوَاسِرٌ ... وَالظُّلْمُ يَنْتَخِبُ الْكِرَامَ وَيَنْتَقِي

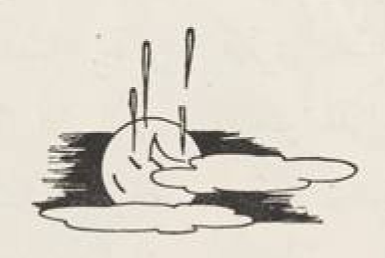
نَصَبُوا لَكَ التِّمْثَالَ قِسْطَ مُجَاهِدٍ ... مِنْ قَوْمِهِ وَشَهَادَةً لِمُحَقِّقِ

فَخَلَدْتَ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ بِأُخْتِهَا ... مَا زِلْتَ بَيْنَ مُكَذِّبٍ وَمُصَدِّقِ

إِنِّي ذَكَرْتُكَ وَالظَّلَامُ مُخَيِّمٌ ... وَبَرَاعِمُ الْأَقْلَامِ لَمْ تَتَفَتَّقِ

أَيَّامَ أَطْيَبُ ما تُعَلِّلُنا المُنَى تَفْرِيجُ مَكْرُوبٍ وَنَهْضَةُ مُوثَقِ
وَاليَومَ نَحْنُ وَلا إِخالُكَ جاهِلاً أَسْلابُ مَعْرَكَةٍ وَرِزْقُ مُوَفَّقِ
أَسْرَى وَلاَ أَطْوَاقَ فِي أَجْيادِنا لَيْسَ الحَمَامُ جَمِيعُهُ بِمُطَوَّقِ

١٩٣١



الصِّبا والجَمال

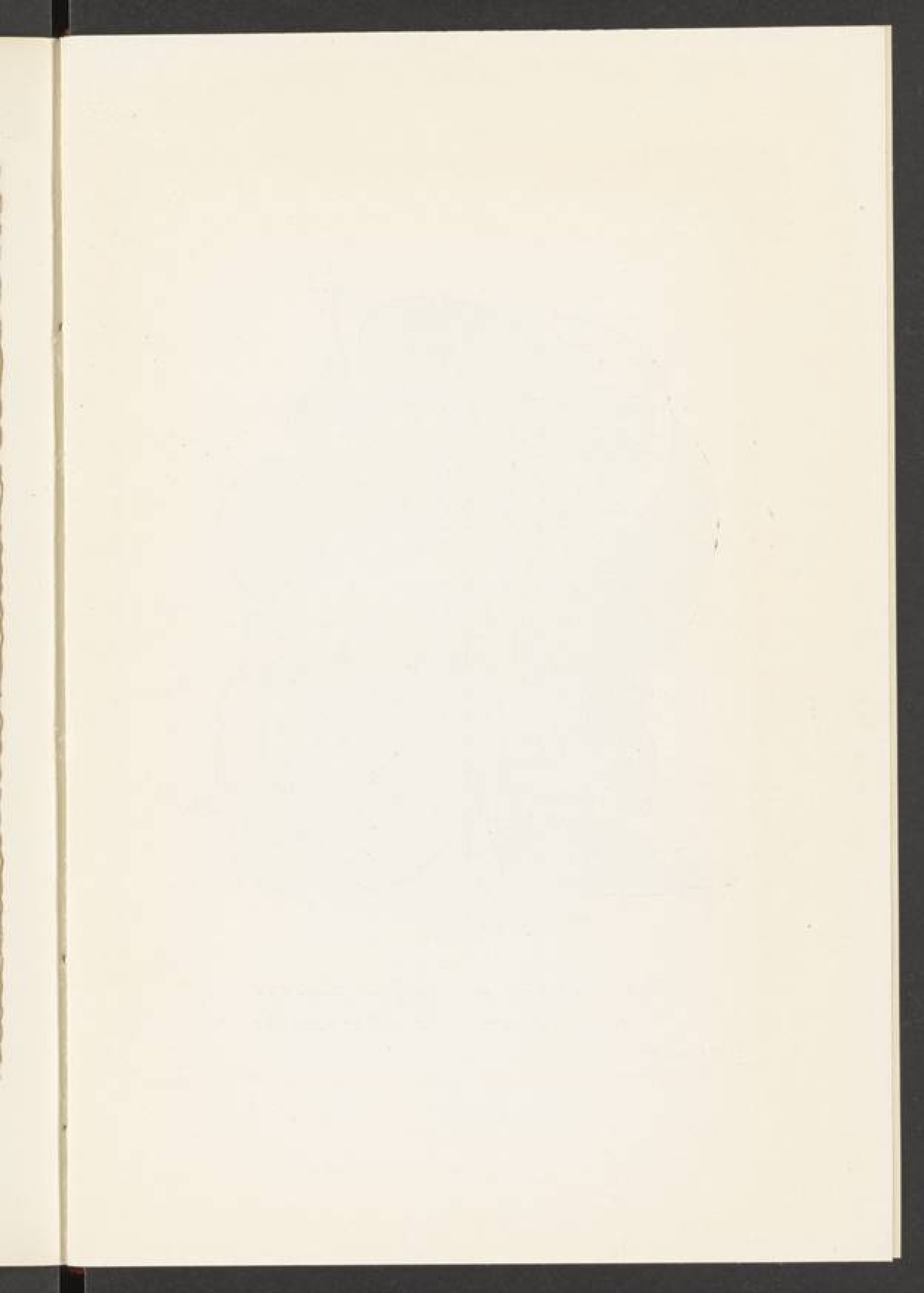
الصِّبا وَالْجَمالُ مُلْكُ يَدَيْكِ أيُّ تاجٍ أعزُّ مِنْ تاجَيْكِ
نَصَبَ الحُسْنُ عرشَهُ فَسَأَلْنا مَنْ تَراها لَهُ فَدَلَّ عَلَيْكِ
فَاسْكُبِي رُوحَكِ الحَنُونَ عَلَيْهِ كانْسِكابِ السَّماءِ في عَيْنَيْكِ
كُلَّما نافَسَ الصِّبا بِجَمالٍ عَبْقَرِيٍّ السَّنا نَماهُ إلَيْكِ
ما تَغَنَّى الهَزارُ إلّا لِيُلْقِي زَفَراتِ الغَرامِ في أُذُنَيْكِ
سَكِرَ الرَّوْضُ سَكْرَةً صَرَعَتْهُ عِنْدَ مَجْرَى العَبيرِ مِنْ نَهْدَيْكِ
قَتَلَ الوَرْدُ نَفْسَهُ حَسَداً مِنْـــكِ وَأَلْقَى دِماهُ في وَجْنَتَيْكِ
وَالفَراشاتُ مَلَّتِ الزَّهْرَ لَمَّا حَدَّثَتْها الأَنْسامُ عَنْ شَفَتَيْكِ
رَفَعُوا مِنْكِ لِلْجَمالِ مِثالاً وَانْحَنَوْا خُشَّعاً عَلَى قَدَمَيْكِ

١٩٣٤



قصت نجيمتنا الحسناء بدعتها   عن نجمة الشط والآذان ترعاها
وكان بالقرب منها كوكب غزل   يصغي فلما رآها سبح الله

(صفحة ١١٩)



جَفْنُهُ عَلَّمَ الغَزَل

جَفْنُهُ عَلَّمَ ٱلْغَزَلْ وَمِنَ ٱلعِلْمِ ما قَتَلْ
فَحَرقْنَا نُفُوسَنَا في جَحِيمٍ مِنَ ٱلْقُبَلْ

وَنَشَدْنَا وَلَمْ نَزَلْ حُلُمَ ٱلحُبِّ وٱلشَّبَابْ
حُلُمَ ٱلزَّهْرِ وَٱلنَّدى حُلُمَ ٱللَّهْوِ وَٱلشَّرَابْ

هَاتِهَا مِنْ يَدِ الرِّضَى جُرْعَةً تَبْعَثُ ٱلجُنُونْ
كَيْفَ يَشْكُو مِنَ ٱلظَّمَا مَنْ لَهُ هٰذِهِ ٱلعُيُونْ

يَا حَبِيبِي أَكُلَّمَا ضَمَّنَا لِلْهَوى مَكَانْ
أَشْعَلُوا ٱلنَّارَ حَوْلَنَا فَغَدَوْنَا لَهَا دُخَانْ

قلْ لِمَنْ لامَ في الهوَى هٰكذا الحُسْنُ قدْ أمَرْ
إنْ عَشِقْنَا فَعُذْرُنَا أنَّ في وَجْهِنَا نَظَرْ



يا خيال الحبيب

جُرْتَ فِي ٱلْمَوْتِ وَٱلْحَيَاةِ عَلَيَّا ‏ ‏ ‏ ‏ وَمَحَوْتَ ٱلضِّيَاءَ مِنْ نَاظِرَيَّا
كُنْتَ أُنْشُودَةَ ٱلْخُلُودِ عَلَى ثَغْـــرِي وَهَمْسَ ٱلسَّمَاءِ فِي أُذُنَيَّا
كُنْتَ دُنْيَايَ فَاضْمَحَلَّتْ وَحُلْمًا ‏ ‏ ‏ ‏ مِنْ شُعَاعِ ٱلصِّبَا قَضَى حِينَ حَيَّا
يَا خَيَالَ ٱلْحَبِيبِ لَمْ تُبْقِ مِنِّي ‏ ‏ ‏ ‏ غَيْرَ حُزْنِي وَغَيْرَ دَمْعِي حَيَّا
أَمْسَحُ ٱلْقَبْرَ بِٱلْجُفُونِ وَفَاءً ‏ ‏ ‏ ‏ لِغَرَامِي وَإِنْ أَسَاءَ إِلَيَّا
أَإِذَا رُمْتُ قُبْلَةً مِنْ حَبِيبِي ‏ ‏ ‏ ‏ عَثَرَتْ قَبْلَ لَمْسِهَا شَفَتَيَّا
ضَحِكَ ٱلْحَظُّ مَرَّةً لِيَ فِي ٱلْحُلْـــمِ فَلَمَّا ٱنْتَبَهْتُ لَمْ أَرَ شَيَّا

١٩٣١



بأبي أنتَ وأمّي

إسقنيها بِأبي أنتَ وأمّي لا لِتجلو الهمّ عنّي، أنتَ همّي

إملإِ الكأسَ ابتساما وغَـراما

فلقدْ نامَ النّدامى والخُزامى

زحمَ الصُّبحُ الظّلاما فالاما

قُمْ نُنهنهْ شفتَينا، ونُذوّبْ مُهجتَيْنا، رضِيَ الحبُّ علَينا

يا حبيبي

بِأبي أنتَ وأمّي ، إسقنيها لاَ لِتجلُو الهمّ عنّي ، أنتَ همّي

غنِّني واسكُبْ غِناكْ ولِماكْ

في فمي ، فدَيْتُ فاكْ هلْ أراكْ

وعلى قلبي يداكْ ورِضاكْ

هكذا أهلُ الغزلْ كلّما خافوا الملَلْ أنعشوهُ بالقُبلْ

يا حبيبي

بأبي أنتَ وأُمّي ، إسقنيها لا لتجلو الهمَّ عني ، أنتَ همّي

صُبَّها مِنْ شفتيْكْ في شفتيّا

ثُمَّ غرّقْ ناظريْكْ في ناظريّا

واختصِرْها ما عليْكْ أوْ عليّا

إنْ تكنْ أنتَ أنا وجعلْنا الزّمنا قطرةً في كأسِنا

يا حبيبي

بأبي أنتَ وأُمّي ، إسقنيها لا لتجلُو الهمَّ عنّي ، أنتَ همّي





وقد يغنّي الفتى

سقياً لأيامِ لبنانَ التي سلفتْ كأنها سكراتُ الوصلِ في الحُلُمِ
كانتْ شباباً وآمالاً مُجنّحةً رمى بها الدهرُ بين اليأسِ والهرمِ
يا صارفَ الكأسِ عنّا لا تضِنَّ بها ويا أخا الوترِ المكسالِ لا تنمِ
أدِرْ علينا من الصهباءِ أفتكَها وخدِّرِ العصبَ المحمومَ بالنغمِ
قد يشربُ الخمرَ من تغلو الهمومُ بهِ وقد يغنّي الفتى من شدّةِ الألمِ

١٩٤١



عُمَرُ وَنُعْم

عمر بن أبي ربيعة من أشهر شعراء الغزل في صدر الإسلام انفرد عن شعراء العرب عهد ذاك بأسلوبه الجديد في مخاطبة النساء والتعرض لهن مع عراقة محتده وبسطة يده وفتون شعره وجميل مروءته فهو شاعر الجمال والطرب لم يجتمعا لشاعر قبله .وأجمل قصائده بل أكملها تلك التي قالها في « نعم » يصف فيها زورته لها وما تم لهما في تلك الزورة وصفاً أخاذاً ، وقد جعلت هذه القصيدة إطاراً لتلك :

أَخَاكَ يَا شِعْرُ فَهٰذَا عُمَرُ ... وَهٰذِهِ « نُعْمُ » وَتِلْكَ الذِّكَرُ

لَوْحَانِ مِنْ فَجْرِ الصِّبَا وَوَرْدِهِ ... غَذَّاهُمَا قَلْبٌ وَرَوَّى مِحْجَرُ

يَخْتَالُ مِنْ نَشْوَتِهِ تَحْتَهُمَا ... مَا غَرَّدَا عُودُ الشَّبَابِ الأَخْضَرُ

فَرْخَانِ فِي وَكْرٍ تَلَاقَى جَانِحٌ ... وَجَانِحٌ وَمِنْقَرٌ وَمِنْقَرُ

يَخْتَلِسُ القُبْلَةَ مِنْ مَبْسِمِهَا ... هَلْ تَعْرِفُ العُصْفُورَ كَيْفَ يَنْقُرُ؟

وَهْوَ إِذَا أَمْعَنَ فِي ارْتِشَافِهَا ... عَلَّمَنَا كَيْفَ يَذُوبُ السُّكَّرُ

رِسَالَةٌ مِنْ فَمِهِ لِفَمِهَا ... كَذَا رِسَالَاتُ الهَوَى تُخْتَصَرُ

إيهِ أبا الخطّابِ[1] ما أحلى الهوى		تنظِمُ مِنْ نوّارِهِ وتنثُرُ
فبعضُهُ يحلُمُ في أوراقِهِ		وبعضُهُ على الرُّبى مُبعثَرُ
ملأتَ أفقَ الحبِّ عِطراً وسنىً		وصُوَراً للوحْيِ فيها سُوَرُ
ألجنّةُ الزّهراءُ ما ترسُمُهُ		والخمرةُ العذراءُ ما تعتصِرُ
والنغَمُ الخالدُ ما تُنشِدُهُ		والمثلُ الشّاردُ ما تبتكِرُ
الطّربُ السّمحُ إذا دارتْ طِلا		أوْ سبقٌ فالشّاعرُ المُغبَّرُ
حلّقْ ولا تحفلْ أأزرى حاسدٌ		أوِ انبرى لِحتفِهِ شُويْعِرُ
عابَ على البُلبُلِ ما يطرحُهُ		مِنْ ريشِهِ وهْوَ بِهِ يأتزِرُ

قُلْ لي : بِنُعْمٍ وبِأترابٍ لها		يلعبْنَ ما شاءَ الصِّبا والأشَرُ
ليلةَ ذِي دوْرانَ[2] هل كانتْ كما		حدّثْتَ أمْ أخيِلةٌ وصُوَرُ

---

(١) أبو الخطاب كنية عمر بن أبي ربيعة .

(٢) ذو دوران المكان الذي يشير إليه عمر في قصيدته بقوله :

وليلة ذي دوران جشمني السرى		وقد يجشم الهول المحب المغرر

وَ«نعَمُ»هل كانتْ كما صوَّرْتَ أمْ بَالغَ فِي تلوينِهَا ٱلمصوِّرُ

وَذلكَ «المِجَنُّ» ؟.. ما أوْهنَهُ يَكادُ مِنْ رقَّتِهِ يَنْتَثِرُ

يَا للمُنَى أعنْ يَمِينٍ كاعِبٌ وَعَنْ شِمَالٍ كاعِبٌ وَمُعْصِرُ[1]

فَمِنْ هُنَا حَيْثُ تندَّى ٱلزَّهَرُ وَمِنْ هُنَا حَيْثُ تدَلَّى ٱلثَّمَرُ

وأنْتَ لاَ تألو دُعاباً فِي ٱلهوَى شَمٌّ وَتَقْبِيلٌ وَأشْيَا أُخَرُ

قَالُوا ٱلحِجازُ مُجْدِبٌ لمَّا عَمُوا وَ« نعَمُ » فِيهِ رَوْضَةٌ وَنَهَرُ

إنْ زَقَّتِ العودَ أناشِيدَ ٱلهوَى حَنَّ لهَا ٱلعُودُ وَجُنَّ ٱلوَتَرُ

أوْ صفَّقتْ لِلَّهْوِ فِي أترَابِها مَاجَ لهَا ٱلوَادِي وَغَنَّى ٱلشَّجَرُ

ألحُبُّ مَذْبُوحٌ عَلَى أقْدامِهَا وَٱلحسْنُ فِي ألحاظِها يُكبَّرُ

تَعرَّتِ ٱلشَّمْسُ عَلَى وَجْنَتِها وَٱنشقَّ – لَوْ تعلَمُ أينَ – القمَرُ

ألعِنَبُ ٱلأَحْمَرُ مَسْفُوحٌ عَلَى شَفَتِها، ما ٱلأُقْحُوانُ ٱلأصْفَرُ ؟!

---

(١) إشارة إلى قول عمر :

وكان مجني دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

وَالوَرْدَةُ البَيْضَاءُ أوْ قُلْ نَهْدُهَا ... كَأنَّهُ مِنْ خُيَلاءِ يَسْكَرُ

مِنْ ثَمَرِ الفِرْصَادِ فِي ذُرْوَتِهِ الـــرَّيَّانَةِ المِعْطَارِ «كِبْشٌ» أحْمَرُ

أوْ أنَّهُ رَأْسُ مَلاكٍ أشْقَرٍ ... يَحْمِلُهُ صَدْرٌ حَنُونٌ أشْقَرُ

دَغْدَغَهُ أخُو هَوًى فَمَدَّ مِنْ ... لِسَانِهِ وَرَاحَ شَهْدًا يَقْطُرُ

رِفْقًا أبا الخطّابِ .. جاوَزْتَ المُنَى ... فَهَلْ تَرَى فِي الأُفْقِ تاجًا يُضْفَرُ

أشْرِفْ مِنَ الذُّرْوَةِ .. كَمْ فِي سَفْحِهَا ... لِلطَّيْرِ مِنْ أجْنِحَةٍ تَكَسَّرُ . . .

ثَلاثَةٌ مَا عِشْتَ عَاشَتْ لِلعُلَى ... ألْحُبُّ ثُمَّ الشِّعْرُ ثُمَّ المِنْبَرُ

لَوْلاكَ وَالشِّعْرُ الَّذِي أبْدَعْتَهُ ... مَا نُعْمُ ، مَا دَوْرَانُ ، إلاَّ أثَرُ

لَوْلا «جَمِيلٌ» لَمْ تَكُنْ «بُثَيْنَةٌ» ... وَلَمْ تَكُنْ عَبْلَةُ لَوْلا عَنْتَرُ[1]

مَا الحُسْنُ لَوْلا الشِّعْرُ إلاَّ زَهْرَةٌ ... يَلْهُو بِهَا فِي لَحْظَتَيْنِ النَّظَرُ

لَكِنَّهَا إنْ أدْرَكَتْهَا رِقَّةٌ ... مِنْ شَاعِرٍ أوْ دَمْعَةٌ تَنْحَدِرُ

سَالَتْ دِمَاءُ الخُلْدِ فِي أوْرَاقِهَا ... وَنَامَ تَحْتَ قَدَمَيْهَا القَدَرُ

---

(١) جميل الشاعر العذري المشهور وحبيبته بثينة وقد شهرت به .

فاعجبْ لِذي حُسْنٍ يُجافي شاعِراً ... يَشْقى عَلَى تَخْلِيدِهِ وَيَنفُرُ
وَٱلشِّعْرُ رُوحُ اللهِ فِي شاعِرِهِ ... ذٰلِكَ يُوحِيهِ وَهٰذا يَنْشُرُ
غِذَاؤُهُ ٱلأَخْلاقُ فِي بُرْعُمِها ... وَماؤُهُ ماءُ ٱلحَياءِ الأَطْهَرُ
أَلحِكْمَةُ الغَرّاءُ مِنْ أَسْمائِهِ ... وَعَدْنُ مِنْ أَوْطانِهِ وَعَبْقَرُ
لَهُ عَلَى الآفاقِ فَتْحٌ زاهِرٌ ... وَفِي عُبابِ ٱلْماءِ فَتْحٌ أَزْهَرُ
يُمْضِيهِما مِنْهُ خَيالٌ مارِدٌ ... أَبُو الفُتُوحاتِ ٱلَّذي لاَ يُقْهَرُ
تَعَلَّقَ ٱلعِلْمُ عَلَى أَسْبابِهِ ... فَحَلَّقَ ٱلطَّوْدُ وَقالَ ٱلْحَجَرُ

لَوْ أَنصَفَ الشِّعْرُ وَقَدْ فَجَّرْتَهُ ... جَداوِلاً يَسْطَعُ مِنْها ٱلشَّرَرُ
تُجَذِّفُ ٱلأَحْلامُ فِي أَلْواحِهِ ... وَيَتَعَرَّى عِنْدَهُنَّ ٱلسَّحَرُ
لَوْ أَنصَفَ الشِّعْرُ لَكُنْتَ قُبْلَةً ... مَغْسُولَةً فِي ثَغْرِهِ يا عُمَرُ
أَوْ أَنصَفَتْ «نُعْمُ» وَقَدْ أَبْرَزْتَها ... لِلْفِتْنَةِ ٱلكُبْرَى مِثالاً يُؤْثَرُ
فِي بِدْعَةٍ لِلشِّعْرِ لَمْ يَحْلُمْ بِها ... «قَيْسٌ» وَلَمْ يَنْهَدْ لَها كُثَيِّرٌ[1]

(١) «قيس» مجنون ليلى ، و «كثير» ويعرف بكثير عزة شاعر معروف .

تَدَاوَلَتْهَا هَضْبَةٌ فَهَضْبَةٌ   وَنَاوَلَتْهَا لِلْخُلُودِ ٱلْأَعْصُرُ
لَوْ أَنْصَفَتْ لَكَشَفَتْ عَنْ صَدْرِهَا   تَوَدُّ لَوْ تُطْبَعُ تِلْكَ ٱلْأَسْطُرُ
وَصَفَّقَتْ « لِعُمَرَ » قَائِلَةً   بِنَاظِرِي ٱلْأَسْوَدِ هٰذَا ٱلْأَسْمَرُ

١٩٣١



يا عاقِدَ الحاجِبَيْن

يا عاقِدَ الحاجِبَيْنِ على الجَبينِ اللُّجَيْنِ
إنْ كنتَ تقصِدُ قتْلي قتلتَني مرَّتينِ

ماذا يُريبُكَ منِّي وما هممتُ بشَيْنِ
أصُفْرَةٌ في جبيني أمْ رَعْشَةٌ في اليَدَيْنِ

تمرُّ قفْزَ غزالٍ بيْنَ الرَّصيفِ وبَيْني
وما نَصَبْتُ شِباكي ولا أذِنْتُ لِعَيْني

تبْدُو كأنْ لا تراني ومِلْءُ عَيْنِكَ عيني[1]

(١) بمعنى ذاتي .

وَمِثْلُ فعلِكَ فعـــلي   وَيْلي مِنَ ٱلأحْمَقَينِ

مَوْلايَ لَمْ تُبْقِ منّي   حَيًّا سِـوَى رَمَقَيْنِ
صَبَرْتُ حَتّى بَراني   وَجْدي وَقُرْبَ حَيْني

سَتَحْرِمُ ٱلشِّعرَ منّي   وَلَيْسَ هَذا بِهَيْنِ
أَخافُ تدعو ٱلقَوافي   عليكَ في ٱلمَشْرِقَيْنِ

١٩٣٢



أنا ناي الهوى

أيها البلبل المغرد في الليـــل على كل أخضر مياد
غمرتك النجوم بالقبل السكـــرى فنقر يا ساحر المنقاد
يا شقي الهوى جفاك الذي تهـــوى ومل الظلام مما تنادي
خلق الله للهوى قبلة الرو ح وراء الخدود والأجياد
أنا أدرى بالطير حين تغني كم جراح سالت على الأعواد

سل ضفاف الهوى أأنبتن غصنا كسليمى أو طائرا كفؤادي
كلما هلهل الأغاني عليها قبلته وأنكرت كل شاد
نحن عرسان للغناء وللشعـــر جلتنا مواكب الأعياد
أنا ناي الهوى الذي اخترع اللـــه وأنت الفريد من إنشادي



كفاني يا قلبُ

كَفَانِيَ يَا قَلْبُ مَا أَحْمِلُ ... أَفِي كُلِّ يَوْمٍ هَوًى أَوَّلُ

أَيَخْلُقُ مِنْكَ جَدِيدُ ٱلْهَوَى ... فُؤَاداً مِنَ ٱلسُّكْرِ لا يَعْقِلُ

لَهُ عَثْرَةُ ٱلطِّفْلِ حَوْلَ السَّرِيرِ ... وَدَمْعَتُهُ ٱلْبِكْرُ إِذْ يُعْوِلُ

أَفِي كُلِّ وَجْهٍ لَنَا مَرْتَعٌ ... وَفِي كُلِّ ثَغْرٍ لَنَا مَنْهَلُ

كَفَى نَهَماً لَنْ يَفِرَّ ٱلْجَمَالُ ... وَتَرْحَلُ أَنْتَ وَلا يَرْحَلُ

عَذَرْتُكَ يَا قَلْبِ مَنْ لِلْهَوَى ... أَنَتْرُكُهُ بَعْدَنَا يَذْبُلُ

سَكَتْنَا فَمَا غَرَّدَ ٱلْعَنْدَلِيبُ ... وَتُبْنَا فَمَا صَفَّقَ ٱلْجَدْوَلُ



آه ما أحلى الحميّا

آهِ ما أحلى الحُميّا تحتَ أذيالِ السُّكونْ
والهوى يوحي إليّا بِرسالاتِ العيونْ

كلّما غنّيتُ لحناً في ديارِ البلبلِ
سرقَ اللحنَ وألقا هُ بإذنِ الجدولِ

خلقَ اللهُ فؤادي من شعاعٍ ودموعٍ
قبساً مِنْ وجهِ طهَ ذابَ في جفنيْ بسوعٍ

ليسَ ما يُشجيكَ منّي نغماتٌ في فمي
إنّها والهفَ نفسي قطراتٌ من دمي

مَلأُوا كَأْسِيَ خَمْراً لَيْسَ مِنْ خَمْرِي ودَنِّي
وَسَقَوْا عُودِي فَغَنَّى وَفُؤَادِي لَمْ يُغَنِّ

أَكَمَا شَاؤُوا غِنَائِي وَكَمَا شَاؤُوا نُوَاحِي
أَفَلَيْسَ ٱللَّهْوُ لَهْوِي وَٱلْجِرَاحَاتُ جِرَاحِي

يَا حَبِيبِي قُمْ نُرَصِّعْ بِالْهَوَى ثَغْرَ ٱلْحَيَاهْ
نَحِّ هٰذِي ٱلْكَأْسَ عَنِّي وَاسْقِنِي هٰذِي ٱلشِّفَاهْ

كُلَّمَا أَوْمَضَ لَحْظَا كَ بِلَحْنٍ يَا حَبِيبِي
كُلَّمَا شَبَّبَ خَدَّا كَ بِخَمْرٍ أَوْ بِطِيب

كُلَّمَا رَتَّلَ نَهْدَا كَ تَرَاتِيلَ ٱلْمَغِيبِ
صَفَّقَ ٱلْقَلْبُ وَنَادَى يَا حَبِيبِي يَا حَبِيبِي

١٩٣٩

مَن رأى الشاعِرَ تابْ

كَذَبَ ٱلوَاشِي وَخابْ   مَنْ رأى ٱلشّاعِرَ تابْ
عُمْرُهُ فَجْرٌ مِنَ ٱلحُبِّ وَلَيْلٌ مِنْ شَرابْ

كَيفَ أصْحُو!؟... خمرَتي مِنْ شَفَتَيْكِ
وَٱلمُنَى تَضْحَكُ لِي فِي نَاظِرَيْكِ
وَأناشِيدُ ٱلهَوَى فِي أُذُنَيْكِ
هَمَسَاتُ ٱلقَطْرِ بَلْ رَنَّاتُ أيْنِكِ
غَنِّني يا بُلبُلي   وَاسقِني يا جَدْوَلي   ٱللَّيالِي ٱلحُمْرُ لي   يا سُلَيمَى
كَذَبَ ٱلواشِي وَخابْ . . .

رَدِّدِي ذِكرَى لِقَانَا ٱلأوَّلِ

وَتَساقِينا كُؤُوسَ الْغزَلِ
وَافْتِراشَ الْعُشْبِ عِندَ الْجدْوَلِ
أنا لا أنسى وقدْ غَنَّيتِ لي
عِنْدما اللّيلُ احْتوانا كيْفَ سالَتْ دَمْعتَانا وَتَلاقَتْ شفَتانا يا سُلَيْمى
كَذَبَ الواشي وَخَابْ . . .

يا ليالينا عَلى شَطِّ الْخَليجِ
وَملاهينا على مَرْمى الثُّلوجِ
حَبّذا لبنانُ من أُفقٍ بَهيجِ
فَاسْفَحِي الْخَمْرَ على تِلكَ الْمُرُوجِ
وَاسْقِني الشّهْدَ الْمُذابْ فإذا وَلّى الشّبابْ كلُّ ما يَبْقى تُرابْ يا سُلَيْمى
كَذَبَ الواشي وَخَابْ . . .

أنا طَيْفٌ مِنْ خَيالاتِ اللّيالي

مِن صدى ٱلوادي ومِنْ همسِ ٱلدوالي

كَمْ على ٱلصحْراء وشيٌ من خيالي

وعلى ٱلبحْرِ يتيماتي ٱلغوالي

مِنْهما صُغْتُ حِلاكِ ومُنى النفْسِ رِضاكِ أنا والشّعْرُ فِداكِ يا سُلَيْمى

كَذَبَ ٱلواشي وخابْ مَنْ رأى الشّاعرَ تابْ

عُمْرُهُ فجْرٌ مِنَ ٱلحُبِّ وليْلٌ مِنْ شرابْ



وَدَاد

في العشرين

يَا قِطْعَةً مِنْ كَبِدِي فَدَاكِ يَوْمِي وَغَدِي
وَدَادُ يَا أُنْشُودَتِي ٱلْـبِكْرَ وَيَا شِعْرِي النَّدِي
يَا قَامَةً مِنْ قَصَبِ ٱلسُّكَّرِ رَخْصَ العُقَدِ
حَلاوَةٌ مَهْمَا يَزِدْ يَوْمٌ عَلَيْهَا تَزِدِ
تَوَقَّدِي فِي خَاطِرِي وَصَفِّقِي وَغَرِّدِي
تَسْتَيْقِظِ الأَحْلامُ فِي نَفْسِي وَتَسْقِهَا يَدِي
رِفِّي عَلَى ٱلنَّادِي وَقُو لِي ٱلْيَوْمَ عِيدُ مَوْلِدِي
عِشْرُونَ... قُلْ لِلشَّمْسِ لا تَبْرَحْ وَلِلدَّهْرِ أُجْمُدِ
عِشْرُونَ ... يَا رَيْحَانَةً فِي أَنْمُلِيْ مُبَدَّدِ

عِشْرُونَ ... هَلَّ يَا رَبِيعُ لِلصِّبَا وَعَيِّدِ

وَبَشِّرِ الزَّهْرَ بِأُخْتِ ٱلزَّهْرِ وَٱطْرَبْ وَٱنْشُدِ
وَٱنْقُلْ إِلى ٱلْفَرْقَدِ مَا نَمْنَمْتَهُ عَنْ فَرْقَدِي



نَدى

في الخامسة

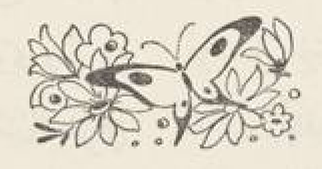
نَدَى ، نَدَى بَسْمَةُ ٱلوَرْ دِ لِلنَّدَى فِي ٱلصَّبَاحِ
نَدَى ، نَدَى هَمْسَةُ ٱلطُّهْـرِ فِي شِفَاهِ ٱلْأَقاحي
نَدَى ، نَدَى شُعْلَةُ ٱلحُبِّ قُبْلَةُ ٱلْأَرْواحِ
كَمْ مِنْ وِشَاحٍ كَسَاهَا ٱلْجَمَالُ كَمْ مِنْ وِشَاحِ

أُخْتُ ٱلفَراشَاتِ يَلْعَبْـنَ حَالِيَاتِ ٱلْجَنَاحِ
لَمْ تُبْقِ لِلزَّهْرِ وَٱلطَّيْـرِ مِنْ شَذاً وَصُدَاحِ
رُضَابُهَا لِلحُمَيَّا وَٱلْخَدُّ لِلتُّفَّاحِ
كَمْ مِنْ وِشَاحٍ كَسَاهَا ٱلْجَمَالُ كَمْ مِنْ وِشَاحِ

نَدايَ مَن سَلْسَلَ ٱلخَمْـرَ في ٱلثَّنَايَا ٱلعِذَابِ ؟

مَن صَفّفَ الشَّعرَ فوقَ الـــجَبِين سَطرَ كِتابِ ؟
رَدَدْتِ لي بَعْدَ يأسِي حُلْمَ الهوى والشَّبابِ
من أنت ؟ !
أللهُ أللهُ لَمَّا عَضَّتْ عَلَى العُنّابِ
وصَفّقَتْ بِيَدَيْها وغَمْغَمَتْ بالجَـوابِ
سَلِ الرَّياحِين عَنِّي وسَلْ حَنِين الرَّبابِ

نَدى ، نَدى بَسْمَةَ الوَرْ دِ لِلنّدى في الصَّباحِ
رُضَابُهــا لِلحُمَيَّا والخَدُّ لِلتُّفّاحِ
كَمْ مِنْ وِشاحٍ كَساها الــجَمالُ كَمْ مِن وِشاحِ



ولد الهوى والخمر...

على ضفاف بردى

فِتَنُ الْجمالِ وثَوْرَةُ الأقداحِ صَبَغتْ أساطيرَ الهوى بِجراحِي
وُلِدَ الهوى والخمرُ ليلةَ مولِدِي وسيُحملانِ معي على ألواحِي
قد عشتُ بينهما على نغمِ الصِّبا كفراشةٍ علِقتْ بثديِ أقاحِ
أشتفُّ روحَهما وأعطي مثلها روحاً وأسلمُ ليلتي لصباحي
روحٌ كما انحطمَ الغديرُ على الصَّفا شِعباً مشعَّبةً إلى أرواحِ
للحبِّ أكثرُها وبعضُ كثيرِها لِرُقى الجمالِ وبعضُها للرّاحِ

أنا لا أشيِّعُ بالدُّموعِ صبابتي لكنْ ألُفُّ جناحَها بجناحِي
إلفانِ في صيفِ الهوى وخريفِه عزّاً على غِيَرِ الزَّمانِ الماحِي
دعْني وما زرعَ الزَّمانُ بمفرقي ما كنتُ أدفِنُ في الثُّلوجِ صُداحِي
مَنْ كانَ مِنْ دُنياهُ ينفضُ راحَهُ فأنا على دُنيايَ أقبضُ راحِي

ما اُختيِرَ للكفنِ البَياضُ لِحُسْنِهِ ... لكنّما كفنُ المَشيبِ الواحي
إنّي أُفدّي كُلَّ شمسِ أصيلةٍ ... حذرَ المغيبِ بألفِ شمسِ صباحِ

بردى نظَمْتَ لنا الزّمانَ قصائداً ... بيضاً وَحُمْراً مِنْ نَدًى وصِفاحِ
في كلِّ رابيةٍ وكلِّ حَنيَّةٍ ... عَصْماءُ تَسْطَعُ بالشَّذا الفوّاحِ
كَمْ وَقفةٍ لي في ذُراكَ وجولةٍ ... شِعريّةٍ وهوى الشّامِ سِلاحي
فدّيْتُ ليلَكَ والكواكبُ في يدي ... ولثمتُ بدرَكَ والضّياءُ وِشاحي
ليلٌ حريريُّ النّسيجِ كأنّه ... شكوى الهوى وصبابةُ المُلتاحِ
وعلى الضِّفافِ إذا تموّجتِ الضُّحى ... لونانِ من أرجٍ ومِنْ تَصْداحِ
والغُصْنُ في حِضْنِ الرّياضِ وِسادةٌ ... نَمَتْ عَلى عُنُقَيْنِ مِنْ تُفّاحِ
مُتلازمَيْنِ توجّسا إثمَ الهوى ... فتخوّفا طرْفَ الضُّحى اللمّاحِ

هَلْ لِي إلى تلكَ المناهِلِ رَجْعَةٌ ... فلقدْ سئِمْتُ الماءَ غيرَ قراحِ
رُجْعى يعودُ بيَ الزّمانُ كأمسِهِ ... صَهْباءُ صارِخَةٌ وليلٌ ضاحِ

يا ذابحَ العنقودِ خضّبَ كفَّهُ … بدمائهِ بُورِكْتَ من سفّاحِ

أنا لستُ أرضى للندامى أن أرى … كسلَ الهوى وتثاؤبَ الأقداحِ

أدبُ الشرابِ إذا المدامةُ عربدَتْ … في كأسِها أن لا تكونَ الصّاحي

باكرْتُها والزهرُ يشرقُ بالندى … في فتيةٍ شمِّ الأنوفِ صِباحِ

أهلُ الندى والبأسِ إن تنزلْ بهم … تنزلْ على عربٍ هناكَ فِصاحِ

الشامُ منبتُهم وكم من كوكبٍ … هادٍ وكم من بلبلٍ صدّاحِ

وطنٌ أعارَ الخلدَ بعضَ فتونِهِ … وسقى المكارمَ فضلةَ الأقداحِ

لبنانُ يا ولهَ البيانِ أذاكرٌ … أم لستَ تذكرُ نجدتي وكفاحي

قبّلتُ باسمِكَ كلَّ جرحٍ سائلٍ … وركزتُ بندكَ عالياً في الساحِ

أنا إن حُجبتُ فليسَ ذاكَ بضائري … وعلى الخواطرِ غدوتي ورواحي

تتحجّبُ الأرواحُ وهي خوالدٌ … وترى العيونُ زوائلَ الأشباحِ

ولربّما خدعتكَ صفحةُ هادئٍ … منّي وفي الأحشاءِ عصفُ رياحِ

أنّي إذا جُنّتْ رياحُ سفينتي … ذهبَ الجنونُ بحكمةِ الملاحِ

ياوَرْدُ من يَشتريك

نظمت نزولا على رغبة الصديق الموسيقار محمد عبد الوهاب
وأثبتت هنا نزولا على إلحاح بعض الإخوان .

يا وردْ مِينْ يشتريكْ والحبيب يِهدِيكْ
يهدي إليه ألأملْ وألهوى وألقُبلْ

يا ورد

أبيضْ غارَ ألنهار منّو خجولْ محتارْ
باسو ألندا بخدو وجارت عليه ألأغصان
راح للنسيم وأشتكى وجرّح خدودو وبكى
أفدي ألخدودَ ألتي تعبث في مهجتي
يا ورد ليه ألخجل فيك يحلو الغزل

يا ورد

يا ورد يأحمر قوللي مين دا اللي جرّحك
جرّح شفايفك وخلّى على شفايفك دمك

شُقَّتْ جيوبُ ٱلغَزَلْ وانبحّ صوتُ ٱلقُبَلْ

على ٱلشفاه ٱلتي تشربُ من مهجتي

يا ورد ليه ٱلخجل فيك يحلو ٱلغزل

يا ورد

أصفر من السقم أم من فرقة ٱلأحباب

يا ورد هوّنْ عليك عاد بلبلك ولهان

يسأل عليك ٱلربى وٱلزهر وٱلأنهار

يهتف أين ٱلتي وهبتها مهجتي

يا ورد ليه ٱلخجل فيك يحلو ٱلغزل

يا ورد

في الصفحات التالية طلائع من
قصائد الألم والعروبة والجهاد .



عِيدُ الجِهَادِ

أُلقيت من محطة الإذاعة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٥٠

قُمْ نُقَبِّلْ ثَغْرَ ٱلجِهَادِ وَجِيدَهْ ... أَشْرَقَ ٱلكونُ يومَ جَدَّدَ عِيدَهْ

لا تَقُلْ خَانَتِ ٱلقَوَافي فَحَسْبُ ٱلشِّـ ... ـعْرِ مِنْهَا أَبْيَاتُهَا ٱلمَعْدُودَهْ

يَتَهَادَيْنَ في غَلَائِلَ كالوَرْ ... دِ وَيَهْبِطْنَ مِن سَمَاءٍ بَعِيدَهْ

سَلْ بِهَا ٱلأَرْزَ يَوْمَ مُعْتَرَكِ ٱلأَحْـ ... ـدَاثِ مَنْ كانَ بُوقَهُ وَنَشِيدَهْ

شَهِدَ ٱللهُ مَا لَمَسْنَ جَبِيناً ... مِنْ تُرَابٍ إِلَّا كَتَبْنَ خُلُودَهْ

أَيُّهَا ذَا ٱللِّوَاءُ مِنْ خُضْرَةِ ٱلأَرْ ... زِ كَسَاهَا دَمُ ٱلجِهَادِ وُرُودَهْ

قد نَشَدْنَاكَ عِنْدَ كُلِّ قَنَاةٍ ... وَعَلَى كُلِّ أَيْكَةٍ غِرِّيدَهْ

قُلْ لِتَشْرِينَ مَا نَسِينَا لَكَ ٱلجُرْ ... حَ ٱلمُدَمَّى في ٱللَّيْلَةِ ٱلعِرْبِيدَهْ[1]

---

(١) إشارة إلى أمر المفوض الإفرنسي بالقبض على رئيس الجمهورية وصحبه واعتقالهم في قلعة راشيا.

نَحْنُ وَالمَوْتُ صَاحِبَانِ عَلَى ٱلدَّهْـــرِ حَشَدْنَا أَرْوَاحَنَا وَبُنُودَهْ
نَحْنُ لا نَحْسَبُ الحَيَاةَ حَيَاةً أَوْ نُفَدِّي أَوْطَانَنَا المَعْبُودَهْ
هٰكَذَا تَحْتَفِي ٱلْبُطُولَةُ بِالعِيــدِ وَتَسْقِي أَبْنَـــاءَهَا عُنْقُودَهْ

. . . .

قُلْ لِمَنْ حَدَّدَ القُيُودَ رُوَيْداً يَعْرِفُ الحَقُّ أَنْ يَفُكَّ قُيُودَهْ

. . . .

أَيْ بَنِي العُرْبِ كِدْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ خَطَلَ الرَّأْيِ وَٱنْهِيَارَ ٱلعَقِيدَهْ
قَدْ مَلَأْتُمْ أُذْنَ اللَّيَالِي غِنَاءً وَٱللَّيَالِي يَنْسُجْنَ كُلَّ مَكِيدَهْ
لا يُفِيدُ ٱبْتِسَامُ ثَغْرِكَ شَيْئاً إِنْ تَلَتْ كُلَّ بَسْمَةٍ تَنْهِيدَهْ
خَابَ مَسْعَاهُ مَنْ يُحَاوِلُ مُلْكاً مُسْتَقِلاًّ إِنْ لَمْ يُحَصِّنْ حُدُودَهْ
حَشَدَ ٱلخَصْمُ أَرْضَهُ وَسَمَاهُ وَحَشَدْنَا آمَالَنَـــا ٱلمَوْؤُودَهْ

. . . .

لَنْ نَرَاهَا إِنْ لَمْ نَمُتْ فِي هَوَاهَا أُمَّةً حُرَّةً وَدُنْيَا جَدِيدَهْ

١٩٥٠

تحيّة فلسطين

ألقيت من محطة الإذاعة الفلسطينية في القدس ١٩٤٢

فِلسْطِينُ أَفْدِيكِ مِنْ دَمْعَةٍ تَهَاوَتْ عَلَى بَسْمَةٍ حَائِرَهْ
تَعَانَقَتَا فَاسْتَحَالَ الْعِنَاقُ لَهِيباً عَلَى شَفَةٍ ثَائِرَهْ

فِلسْطِينُ يَا حُلُمَ الأَنْبِيَاءِ وَيَا خَمْرَةَ الأَنْفُسِ الشَّاعِرَهْ
حَمَلْنَا لَكِ الْمُهَجَ الظَّامِئَاتِ وَأَضْدِيَةَ الْقُبَلِ الطَّاهِرَهْ

فِلسْطِينُ يَاهَيْكَلَ الذِّكْرَيَاتِ عَلَى جَبْهَةِ الأَعْصُرِ الْغَابِرَهْ
مُضَمَّخَةً بِغُبَارِ الْحُرُوبِ مُخَضَّبَةً بِالْمُنَى الزَّاخِرَهْ

فِلسْطِينُ يَا جَمَحَاتِ الْخَيَالِ مُجَنَّحَةً بِالرُّؤَى السَّاحِرَهْ
هُنَاكَ عَلَى شُرُفَاتِ النُّجُومِ أَرَى مَكَّةَ تَلْثِمُ النَّاصِرَهْ

أَلا قَطْرَةً عُرْسَ قَانَا ٱلْجَلِيلِ   وَلَوْ بَيْنَ جُدْرَانِكِ ٱلدَّائِرَهْ
تَرُدُّ إِلَى ٱلشِّعْرِ وَحْيَ ٱلسَّمَاء   فَتُلْهِمُهُ ٱلأَنْفُسُ ٱلْكَافِرَهْ



ياجهاداً صفّق المجد له

كان لثورة فلسطين ١٩٣٥–١٩٣٦ أثرها الدامي في نفوس العرب فهبوا يساعدون الثوار بالمال والسلاح وقد أعدت هذه القصيدة لتلقى في الحفلة التي قررت مدينة ابن الوليد إقامتها ولكن الحكومة منعت الحفلة فنشرتها مجلة المعرض على حدة وقدمت ماجمعته من ثمنها للجنة مساعدة الثوار .

سائلِ العلياءَ عنّا والزّمانا ... هلْ خفرْنا ذِمّةً مُذْ عرفانا

ألمُروءاتُ الّتي عاشتْ بِنا ... لمْ تزلْ تجري سَعيراً في دِمانا

قلْ « لِجُونْ بولٍ » إذا عاتبْتهُ ... سوْفَ تدعُونا ولكنْ لا ترانا

قدْ شفَيْنا غُلّةً في صدرِهِ ... وعطِشْنا ؛ فانظُروا ماذا سقانا

يوْمَ نادانا فلبّينا النّدا ... وتركْنا نهْبةَ الدّينِ ورانا

ضجّتِ الصّحْراءُ تشْكو عُرْيها ... فكسَوْناها زئيراً ودُخانا

مُذْ سقيْناها العُلى مِنْ دمِنا ... أيقنتْ أنّ معدّاً قد نمانا

ضَحِكَ المَجدُ لنَا لمَّا رَآنا   بدَمِ الأبطالِ مَصبُوغاً لِوَانا

عُرسُ الأحرارِ أنْ تَسقِي العِدَى   أكْؤساً حُمراً وأنغاماً حَزَانَى

نَرْكَبُ الموتَ إلى (العهدِ) الذي   نَحَرَتْهُ دُونَ ذَنبٍ حُلفانا

أمِنَ العَدلِ لدَيْهِمْ أنَّنا   نَزرَعُ النَّصرَ وَيَجْنِيهِ سِوَانا

كُلَّما لَوَّحتَ بالذِّكرَى لهُمْ   أوسَعوا القَولَ طِلاءً وَدِهَانا

ذَنبُنا وَالدَّهرُ في صَرعَتِهِ   أنْ وَفَينا لِأخِي الوِدِّ وَخَانا

يَا جِهاداً صَفَّقَ المَجدُ لَهُ   لَبِسَ الغَارُ عَلَيهِ الأُرجُوانا

شَرَفٌ بَاهَتْ فِلسْطِينُ بِهِ   وَبِناءٌ لِلمَعالِي لا يُدانَى

إنَّ جُرحاً سَالَ مِنْ جَبهَتِها   لَثَمَتْهُ بِخُشُوعٍ شَفَتَانا

وأنِيناً بَاحَتِ النَّجوَى بِهِ   عَرَبِيّاً رَشَفَتْهُ مُقلَتَانا

يَا فِلسْطِينُ التِي كِدْنَا لِمَا   كَابَدَتْهُ مِنْ أسًى نَنسَى أسَانا

نَحنُ يَا أُختُ عَلَى العَهدِ الذي   قَدْ رَضَعْنَاهُ مِنَ المَهدِ كِلانا

يَثْرِبٌ والقُدْسُ مُنْذُ احْتَلَمَا كَعْبَتَانا وَهَوى الْعُرْبِ هوانا

شَرَفٌ لِلْمَوْتِ أَنْ نُطْعِمَهُ أَنْفُساً جَبَّارَةً تَأْبى الْهَـوانا

وَرْدَةٌ مِنْ دَمِنا فِي يَدِهِ لَوْ أَتى النَّارَ بِها حالَتْ جِنانا

أَنْشُرُوا الْهَوْلَ وَصُبُّوا نارَكُمْ كَيْفَما شِئْتُمْ فَلَنْ تَلْقَوا جَبانا

غَذَّتِ الْأَحْداثُ مِنَّا أَنْفُساً لَمْ يَزِدْها الْعُنْفُ إِلَّا عُنْفُوانا

قَرَعَ «الدُّوتشي» لَكُمْ ظَهْرَ العصا وَتَحَدَّاكُم حُسـاماً ولِسانا

إِنَّهُ كُفْؤٌ لَكُمْ فَانْتَقِمُوا وَدَعُونا نَسْأَلُ اللهَ الأَمانا

قُمْ إِلَى الأَبْطالِ نَلْمَسْ جُرْحَهُمْ لَمْسَةً تَسْبَحُ بِالطِّيبِ يَدانا

قُمْ نَجُعْ يَوْماً مِنَ العُمْرِ لَهُمْ هَبْهُ صَوْمَ الفِصْحِ، هَبْهُ رَمَضانا

إِنَّما الحَقُّ الذي ماتُوا لَهُ حَقُّنا، نَمْشِي إِلَيْهِ أَيْنَ كانا

دَمعةٌ لِلشِّعْرِ فى جَفْنِ العُلى كَفْكَفَتْها أَكْرَمُ الخَلْقِ بَنانا

حِمْصُ.. والجَنَّةُ مِنْ أَسمائِها آنَةٌ وَالمَعْقِلُ الجَبَّارُ آنا

لَوْ مَشَى «خالِدٌ» في فِتْيانِها   مَهْرَجَ الخُلْدَ وَزادَ الفَتْحَ شانا

هُمْ سِياجُ الحَقِّ مِنْ أُمَّتِهِمْ   جَعَلَتْهُمْ في يَدِ المَجْدِ ضَمانا



الشبابُ الذاوي

دمعة على شاعر الشباب فوزي المعلوف .

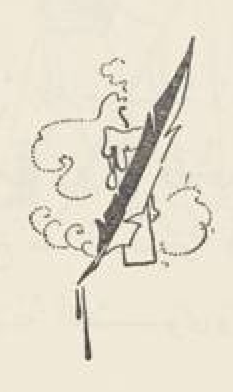
عَجِبُوا أَنْ يَمُوتَ في رَيِّقِ الْعُمْـرِ وَيَطْوي كالْبَرْقِ سِفْرَ حَيَاتِهْ
أَهُوَ الْعُمرُ ما نَعُدُّ لَهُ الْأَيّـامَ أَمْ بالشَّهيِّ مِنْ ثَمَراتِهْ
غَايَةُ السَّابِقِ الْجَوَادِ مِنَ الدُّنْـيا بُلُوغُ الْبَعِيدِ مِنْ غَايَاتِهْ
مَا عَلَيْهِ إِنْ جَازَهَا وَكَفَتْهُ وَثْبَةٌ في السِّبَاقِ مِنْ وَثَبَاتِهْ

أَيُلامُ الْوَرْدُ الْجَنِيُّ إِذَا جَـفَّ رَحِيقُ الْجَمَالِ في وَجَنَاتِهْ
وإِذَا كانَ عُمْرُهُ بَعْضَ يَوْمٍ وَتَمَشَّى الذُّبُولُ في وَرَقَاتِهْ
غَايَةُ الْوَرْدِ أَنْ يُضَمِّخَ هٰذَا الْـجَوَّ بِالْمُسْتَحَبِّ من نَفَحَاتِهْ
ما عَلَيْهِ إِنْ جَازَ غَايَتَهُ الْقُصْـوَى وَعَدَّ الزَّمَانَ مِنْ سَاعَاتِهْ

أَفَذَنْبُ الْهَزَارِ إِنْ هَامَتِ الْأَقْـفَاصُ بِالسَّاحِرَاتِ مِنْ آيَاتِهْ

تُوقِظُ ٱلرَّوضَ من كَرَاهُ وتَجْلو بَسَمَاتِ ٱلضحَى على زَهَرَاتِهْ
غَايَةُ ٱلطَّائِرِ ٱلمُغَرِّد من دُنْـــيَاهُ أُنْشُودَةٌ عَلَى هَضَبَاتِهْ
مَا عَلَيْهِ إِذَا تَعَجَّلَ في ٱلشَّدْ وِ وَرَوَّى ٱلخُلُودَ مِنْ نَغَمَاتِهْ

عُطِّلَ ٱلسَّبْقُ بَعْدَ «فوزي» وَجَفَّ ٱلـــعِطْرُ مِنْ بَعْدِ طِرْسِهِ ودَوَاتِهْ
وَتَعَرَّى رَوْضُ ٱلبيَانِ مِنَ ٱلسَّجْـــعِ وَجَاسَ ٱلخَرِيفُ في جَنَبَاتِهِ



شاعر يترك الخيال كسيحا

ألقيت في الحفلة التأبينية التي أقيمت للشاعر
إلياس فياض في كانون الأول ١٩٣٠

لا تلمْ شاعراً على خذلانهْ ... بالعصيَّيْنِ دمعهِ وبيانهْ
ولفَّ البيانُ في أكفانهْ ... بعدَ «فيَّاضَ» جفَّ في جفنهِ الدمْعُ
وذوى كلُّ زاهرٍ في جنانهْ ... وخبا كلُّ ساطعٍ في سماهُ
د ونُعمى حلّتْ على «لبنانهْ» ... هِبَةٌ منْ مواهبِ اللهِ للضّا
ومدامٌ طافتْ على ندمانهْ ... بسماتٌ على شفاهِ الحزانى
فسرْنا بهِ على لمعانهْ ... وشهابٌ أضاءَ في أفقِ الشعرِ
روحَ حسّانهِ ووجهَ حسانهْ ... جمعَ الأحسنينِ في أوزانهْ
وغنّى الهوى على قضبانهْ ... وكسا الأرزَ حالياتِ قوافيهِ
خلفهُ إذْ يجدُّ في طيرانهْ ... شاعرٌ يتركُ الخيالَ كسيحاً

وألقى النجومَ في أحضانهْ ... أنشدَ النيلَ ساحراتِ لياليهِ[1]

---

(١) إشارة إلى قصيدته «ليالي الصيف في مصر».

كبنَاتِ ٱلمُلوكِ يرْقصْنَ في ٱلمَا ءِ على ٱلمُسْكِرَاتِ مِنْ ألحَانِهْ

يتَمنَّيْنَ لوْ جُعِلْنَ حُليًا في يدَيْه أوْ حِكْمَةً في لِسانِهْ

ولقدْ خالَهُ ٱلنَّخِيلُ على ٱلبُعْـدِ رسُولَ ٱلدُّهورِ مِنْ كُهَّانِهْ

يضْرِبُ أليمَّ بِٱلمجاذِيفِ حتَّى تتَشظَّى فكَّاهُ عنْ أسْنانِهْ

فأنْبرَى يحْمِلُ ٱلأكاليلَ في ٱلهَا مِ وحَيًّا بِراحِهِ وبَنانِهْ

حفِظَ اللهُ مُهْجَةَ ٱلشِّعْرِ في ٱلشَّرْ قِ ووَقَاهُ عادِيَاتِ زمَانِهْ

كانَ ريْحانَةَ ٱلمَناذِرةِ ٱلغُـرِّ وراحَ ٱلأرْوَاحِ في غسَّانِهْ

ما زهَا مفْرِقٌ بتاجٍ إذا لمْ يزْهُ بِٱلخالِداتِ مِنْ تيجانِهْ

حلَّ في ذُرْوَةِ ٱلعُرُوبَةِ حتَّى حضَنَتْهُ الآياتُ مِنْ قُرْآنِهْ

يتَمشَّى حيناً على ٱلوتَرِ الشَّا دِي وحِيناً على شَبا مُرَّانِهْ

وأحايِينَ في لَمَى غِزْلانِهْ وأحايِينَ في لَهَا فُرْسانِهْ

يتَمنَّى ٱلمُلوكُ لوْ أنعمَ اللَّـهُ عليهِمْ بِسكْرَةٍ في حانِهْ

ليْتَ شِعْرِي ماذا أساءَ إلى ٱلأيَّـامِ حتَّى أمْعنَّ في عُدْوانِهْ

فهوى مِنْ سَمائِه كاسِفَ اللَوْ ... نِ إلى هُوَّةِ الشقَا وَهَوانِهْ
كلَّما همَّ أنْ يُطأطِئَ لِلدَّهْـ ... ـرِ ثناهُ العَريقُ مِنْ عُنفُوانِهْ
مُؤثِرٌ أنْ يَموتَ في كُوخِهِ الفَا ... ني عَلى الباقياتِ مِنْ دِيوانِهْ
يَحْمِلُ الابْتِسامَ في شَفَتَيْهِ ... والمَنايا تَسيلُ مِنْ أرْدانِهْ
كَسِراجٍ في جَوْفِ دَيْرٍ قَديمٍ ... هَرِقَتْ رُوحُهُ عَلى جُدْرانِهْ
يَشْهَقُ الشَهْقَةَ الخَفيفَةَ في الفَجْـ ... ـرِ وَيُفْني أنفاسَهُ بِدُخانِهْ
كَعَليلٍ عَلى فِراشٍ مِنَ الشَّـ ... ـلِّ بَعيدِ المَزارِ عَنْ إخْوانِهْ
كلَّما ألحَفَ السُّعالُ عَلَيْهِ ... أطْعَمَ المَوْتَ قِطعةً مِنْ جَنانِهْ

أيُّها الجَدْوَلُ الوَديعُ الّذي يَنْـ ... ـشُرُ سِرَّ الحَياةِ في جَرَيانِهْ
أيُّها المَدْمَعُ الحَنونُ الّذي لَوْ ... لاهُ ما افْتَرَّ مَبْسِمٌ عَنْ جُمانِهْ
أيُّها المُنْشِدُ الكَئيبُ الّذي تَسْـ ... ـمُرُ زُهْرُ الدُّجى عَلى تَحْنانِهْ
أمِنَ العَدْلِ أنْ تُعَفَّرَ في التُّرْ ... بِ وَيَزْهو وَرْدٌ عَلى أغْصانِهْ ؟
أمِنَ العَدْلِ أنْ تَنامَ عَلى الصَّخْـ ... ـرِ وَيَغْفو قِطٌّ عَلى رَيْحانِهْ ؟

أَمِنَ العَدْلِ أَنْ تَنُوحَ عَلَى العُشْـــبِ وَيَشْدُو طَيْرٌ عَلَى أَوْكَانِهْ ؟
هٰكَذَا الشَّاعِرُ الشَّقِيُّ ، يُغَنِّي فَيُغَذِّي الأَفْرَاحَ مِنْ أَحْزَانِهْ

يَا ضَرِيحَ الحَبِيبِ لَمْ يَبْقَ لِي دَمْــعٌ فَأَسْقِي ثَرَاكَ مِنْ هَتَّانِهْ
كُنْتُ إِنْ جَفَّ مَدْمَعِي فِي جُفُونِي أَسْتَعِيرُ الدُّمُوعَ مِنْ أَجْفَانِهْ



حِكمةُ الدهرِ أن نعيشَ سكارى

ألقيت في الحفلة التأبينية التي أقيمت في بيروت
للنابغة اللبناني جبران خليل جبران في ٢١ آب ١٩٣١

حِكْمَةُ الدَّهْرِ أَنْ نَعِيشَ سَكَارَى فَاجْمَعَا لِي الكُؤُوسَ وَالأَوْتَارَا
وَاجْلُوَاهَا دُنْيَا مُمَتَّعَةَ الحُسْـنِ كَمَا تَجْلُوَانِ إِحْدَى العَذَارَى
هِيَ كَالوَرْدِ تَحْمِلُ الشَّوْكَ وَالعِطْـرَ وَإِنْ خَيْرَ اللَّبِيبُ اخْتَارَا
كُلُّنَا كُلُّنَا نُجَاذِبُهَا الوَصْـلَ وَنَجْنِي اللَّذَائِذَ الأَبْكَارَا
إِنَّمَا ذَاكَ يَرْفَعُ الصَّوْتَ فِي النَّا دِي وَهٰذَا يُلْقِي عَلَيْهَا سِتَارَا
فَانْهَبِ العَيْشَ لَا أَبَا لَكَ نَهْبًا وَاطَّرِحْ عَنْكَ وَجْهَكَ المُسْتَعَارَا
لَسْتَ مَهْمَا عُمِّرْتَ غَيْرَ جَنَاحٍ حَطَّ فِي الدَّوْحِ لَحْظَةً ثُمَّ طَارَا

هَبْكَ جبران يُلْبِسُ الأدبَ السِّحْـرَ فَيَأْتِي بِالمُعْجِزَاتِ كِبَارَا
يَغْسِلُ الأَنْفُسَ الجَرِيحَةَ بِالدَّمْـعِ فَيَكْسُو تِلْكَ الجِرَاحَ افْتِرَارَا
يَسْكُبُ النَّفْسَ وَالبَيَانَ عَلَى الطِرْ سِ فَيَطْوِي عَلَى الظَّلَامِ النَّهَارَا

يُرْسِلُ ٱلفِكْرَةَ ٱلنقيَّةَ عذْرَا ءِ ويُرْخِي ٱلضُّحَى عَلَيْها إزارَا
يَتَعَلَّى حتى يَجُوزَ مَدَى ٱلوَهْمِ وَحَتَى يُهَتِّكَ ٱلأَسْرارَا
أفتَرْجو شُفِيتَ مِنْ مَرَضِ ٱلغفْلَةِ أَنْ يَضفِرُوا لِرَأْسِكَ غارَا ! ؟

هَبْكَ جُبْرانَ وَهُوَ إِنْجِيلُ هٰذا ٱلـعصْرِ فَاضَتْ آياتُهُ أَنْوارا
ذٰلِكَ ٱلإِرْثُ مِنْ فَلاسِفَةِ ٱلأَجْيالِ حَابَتْ بِهِ ٱلْحُظوظُ نِزارا
ذٰلِكَ ٱلجَدْوَلُ ٱلَّذي يَملأُ ٱلوَا دي اُخْضِراراً وَٱلضِّفَّتَيْنِ اُزْدِهارَا
تَسْتَحِمُّ ٱلنفُوسُ فِيهِ فَلا تَبْرَحُ إِلّا جَوانِحاً أَطْهَارا
وَتَوَدُّ ٱلنُّجُومُ لَوْ سُمِّرَ ٱللَّيْلُ فَظَلَّتْ لِشَجْوِهِ سُمَّارا
أفتَرْجو شُفِيتَ مِنْ مَرَضِ ٱلغفْلَةِ أَنْ يَضفِرُوا لِرَأْسِكَ غارَا

هَبْكَ جبرانَ يَرْسُمُ ٱلفِكْرَ أَلوَا حاً تَطُوفُ ٱلعُقولُ فِيها سُكارى
تَتَنَزَّى أَرْوَاحُها خَلَلَ ٱلخَطِّ كَما ثارَ في ٱلحَدِيدِ ٱلأُسارى
وَلَكادَتْ لِرَوْعَةِ ٱلفَنِّ تَرْفُضُّ وَرَاحَتْ تَشُقُّ عَنْها ٱلإِطَارَا

يَبْعَثُ ٱلدَّارِجِينَ فِي ٱلْأَعْصُرِ ٱلْغُبْـــرِ وَكَانُوا عَلَى رَحَاهَا غُبَارَا
فَإِذَا هُمْ مَوَائِلٌ نَفَضُوا ٱلْأَرْ مَاسَ عَنْهُمْ وَمَزَّقُوا ٱلْأَدْهَارَا
أَفَتَرْجُو شُفِيتَ مِنْ مَرَضِ ٱلْغَفْـــلَةِ أَنْ يَضْفِرُوا لِرَأْسِكَ غَارَا

مُتْ إِذَا شِئْتَ أَنْ تَكُونَ أَدِيبًا أَوْ فَبَدِّلْ بِغَيْرِ لُبْنَانَ دَارَا
بَلَدٌ قُسِّمَتْ حُظُوظُ بَنِيهِ فَأَصَبْنَا مِنْ بَيْضِهَا ٱلْأَصْفَارَا
أَنَفًا لِلْبِلَادِ أَنْ تَحْمِلَ ٱلْعَا رَ رَضِينَا أَنْ نَعْتُبَ ٱلْأَقْدَارَا
لَيْسَ مَا تَرْشَحُ ٱلشِّفَاهُ ٱبْتِسَامًا لَوْ تَأَمَّلْتَ بَلْ جِرَاحًا حِرَارَا
وَلَقَدْ يُعْذَرُ ٱلْأَدِيبُ مَتَى ضِيـــمَ إِذَا أَرْسَلَ ٱلْعِتَابَ ٱضْطِرَارَا

أَيُّهَا ٱلْعَبْقَرِيُّ يَا شَرَفَ ٱلْأَرْ زِ كَفَى ٱلْأَرْزَ إِنْ ذُكِرْتَ فَخَارَا
وَيْحَ لُبْنَانَ كُلَّمَا ذَرَّ نَجْمٌ فِيهِ وَلَّى عَنْ أُفْقِهِ وَأَنَارَا
ضَمَّكَ «ٱلشَّيْخُ» فِكْرَةً وَتُرَابًا لَيْتَهُ ضَمَّ غُصْنَهُ وَٱلْهَزَارَا

أسمهان

عندَ البلابلِ بينَ السفحِ والوادي — بعضُ الأحاديثِ عن شجْوي وإنشادِي
يا منهلَ الفنِّ قد غاضتْ منابعهُ — ماذا فعلتِ بقلبِ المدنفِ الصَّادِي
تلكَ الأصائلُ من وردٍ ومن حَبَبٍ — وأنتِ في صدرِها ريحانةُ النَّادِي
حتَّى تحكَّمتِ بالأرواحِ فانطلقتْ — فنحنُ من بعدِها أطلالُ أجسادِ
هلِ الغناءُ إذا جرَّحتِ آهتهُ — سوى عُصارةِ أكبادٍ لأكبادِ
كأنهُ موجةٌ بيضاءُ ناعمةٌ — يمشي الشراعُ بها في بحرهِ الهادي
تأوي الأغاريدُ منهُ حين ترسلهُ — إلى وريفٍ نديِّ الظلِّ مدّادِ
وينثرُ الروضُ سكراناً براعمهُ — كألسُنِ الطَّيرِ شقَّتْ نصفَ منقادِ

مَن ذا سقى الرَّوضَ؟ ما هذا الفتونُ به — فلستُ أبصرُ فيهِ غيرَ ميَّادِ
كأنَّ أغصانَهُ لمَّا برزتِ لها — سِربٌ من الحورِ في أثوابِ أعيادِ

يكادُ يُفتَنُ مِثلي ثغرُ وردتِه   فيخطَفُ اللحنَ قبلي من فمِ الشّادي

. . . .

أضاعَ جبريلُ من قيثارِهِ وتَراً   في ليلةٍ غابَ عنها نجمُها الهادي

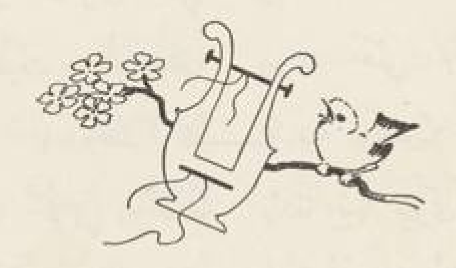
وحارَ... ليسَ يرى في الخلدِ بغيتَهُ   ما معبدٌ؟ ما أبو إسحقَ؟ ما الوادي[1]

حتّى أطلَّ على الدنيا فأذهلَهُ   أن شقَّ جوفَ الدجى ترجيعُ إنشادِ

فاهتزَّ ترعشُ فيه كلُّ جارحةٍ   كأنّها ريشةٌ في كفِّ عوّادِ

وطارَ حتّى أتى الوادي[2] وعادَ إلى الـ   ـفردوسِ مُحتضناً «قيثارةَ» الوادي

١٩٤٤



(١) معبد وأبو إسحق الموصلي وحكم الوادي من أشهر مغني العرب .
(٢) وادي النيل .

الجابي[٧]

في آب ١٩٣٥ أطلقت وزارة المالية جباتها في القرى اللبنانية يمعنون في الأهلين إرهاقاً لتحصيل بقايا الأموال الأميرية خلال أزمة مضنية فأوحى ذلك الإرهاق بهذه القصيدة .

مَنِ ٱلنَّاعِبُ قَبْلَ ٱلفَجْـرِ مَنْ هٰذَا عَلَى ٱلبَابِ
أُعِيذُ ٱلقُبْحَ مِنْ قُبْحٍ بِأَظْفَارٍ وَأَنْيَابِ
أَقَبْلَ ٱلشَّمْسِ فِي الآفَا قِ وَالعُصْفُورِ فِي ٱلغَابِ ؟
وَمَا زَارَ ٱلكَرَى جَفْنِي وَلَمْ تَعْلَقْهُ أَهْدَابِي
وَلَا غَذَّيْتُ أَطْفَالِي سِوَى هَمِّي وَأَوْصَابِي
فِرَاشِي يا وَقَاكَ ٱللّٰهُ منهُ بَعْضُ أَعْشَابِ
وَهٰذي كُوبَتِي ٱلفَخَّا رُ مَا فِيهَا سِوَى صَابِ
فَمَا تَبْغِيهِ فِي بَابِي وَمَنْ أَنْتَ ؟ أنا ٱلجَابِي

إِلٰهِي أَيُّ دَهْيَاءَ يُرَدِّي مِثْلَهَا مِثْلِي

وَيَشْكُو فَقْرَهُ قَبوِي وَيَشْكو مَحْلَهُ حَقْلِي
وَشَاتِي وَهْيَ أُمُّ ٱلبيـــتِ يَشْكو ضَرْعَها طِفْلِي
رُوَيْداً يا أخا ٱلْهَيْجَا ءِ قد أَسْرَفْتَ في ٱلقتلِ
ألاَ تُبقِي على شَيءٍ ؟ فَمَنْ يَحْيَا بِلَا أَكلِ
كَفَانَا أَننا نَمْشِي مِنَ ٱلبُؤسِ بِلَا نَعْلِ
وأَنَّا نَمْضُغُ ٱلموتَيْـــنِ مِن ظُلْمٍ وَمِنْ ذُلٍّ
فَمَنْ أَغْرَى ٱلرَّزَايا بي وَمَنْ أنتَ ؟ — أنا ٱلجَابي

بِرَبِّ ٱلأرزِ حَدِّثني أَحقًّا قولُهُـــــم حقًّا
بأَنَّ النَّاسَ في بَيْرُو تَ لا تَشْقَى كَمَا نَشْقَى
وأَنَّ ٱلْأُتْنَ وَٱلثِّيرا نَ تَلْقَى ٱلعَطْفَ وَٱلرِّفْقَا
فَإِنْ صَحَّ ٱلَّذي قَالُوا أيرضَى ٱلعَدْلُ ذَا ٱلفَرْقَا
وَيَرضَى صَاحِبُ ٱلسُّلْطَا نِ أَنْ نَفْنَى وأَنْ يَبْقَى
أَلِلْحُكَّامِ مَا نَجْنِي ؟ مَتى كُنَّا لَهُمْ رِزقَا

كَذَا يَلقَى ٱلَّذي يَبْتَا ع بِٱلْحُرِيَّةِ ٱلرِقَا
فَعُدْ بِاللهِ عَنْ بَابي وَخُذْ مَا شِئْتَ يَا جَابي

لِمَنْ يَنْسَاقُ هَذا ٱلمَا لُ قُولي يَا سَمَا قُولي
أَأَيْـلُولٌ عَلَى ٱلْأَبْوَا ب لاعِشْنَا لِأَيلول[1]
يُبَاعُ ٱلخبزُ في بَيْتي لتزميرٍ وَتَطْبِيـــلِ
وخَنْقِ ٱلدَّمْعَةِ ٱلْحَمْرَا ء في كَفِّ ٱلْأَبَاطِيلِ
أَيَحْيَا عِيدُ أَيْلولٍ على مِلْيونِ مَقْتُولِ
وَلا يَرْثي أُولُو ٱلْأَمْرِ لِأَشْبَـــاحٍ مَهَازِيلِ
نِيامٍ بينَ توْرَاةٍ وقُرْآنٍ وإِنْجِيـــلِ
فَمَا في ٱلغَابِ مِن نَابٍ فَزَمْجِرْ أَيُّها ٱلجَابي

أَلَا سَيْفٌ مِنَ ٱلْإِيمَا نِ يَبْرِي ٱلسَّيفَ مَسْنُونَا

(١) أول أيلول عيد إعلان لبنان الكبير .

يُجلّي عن سَما ٱلأوطا ... نِ هٰذا ٱلذُّلَّ وَٱلهونا
يَقودُ إلى جُنونِ ٱلمجـدِ ... أبطالاً مَجانينا
بِقلبٍ يحمِلُ ٱلآما ... لَ والآلامَ وَٱلدّينا
يَهُزُّ ٱلقومَ[1] بِالذِّكرى ... وقَدْ يَنسى ٱلفتى حِينا
إذا أعطيتَ وعْدَ ٱلحُرِّ كانَ ٱلوعدُ مأمونا
ولكن ليسَ في ٱلبابِ ... سوى ٱلجُنديِّ والجابي



(١) يريد بهم المتدينين .

عُودُوا إلى تلك القُرى

نشرت في العدد الأول من جريدة « البلاد » لصاحبيها الأستاذ موسى نمور والشيخ يوسف الخازن نزولا عند اقتراحهما .

قَالوا ٱلبِلَادُ — فَقُلْتُ أَيُّهما أَهِيَ ٱلجَرِيدَةُ أَمْ هِيَ ٱلوطَنُ
إِنْ كَانَتِ ٱلأُولى فَحَسْبُكُمُ قَلَمٌ عَلَى الأَوْطَانِ مُؤْتَمَنُ
أَوْ كَانَتِ ٱلأُخْرَى فَوَاحَرَبا أَلبُؤْسُ وَالْأَرْزَاءُ والفِتَنُ

أَبَنِي أَبِينَا طَالَ نَوْمُكُمُ تَشْقَى ٱلنُّفُوسُ وَيَنْعَمُ ٱلبَدَنُ
لا ٱلحَقْلُ يَبْسِمُ عَنْ مَعَاوِلِكُمْ فِيهِ وَلا تَتَرَنَّمُ ٱلمِهَنُ
ذَوَتِ ٱلرِّيَاضُ وَمَاؤُكُمْ عَمَمٌ وَتَعَطَّلَتْ مِنْ حَلْيِهَا ٱلقُنَنُ
وَخَوَتْ زَرَائِبُكُمْ وَكَانَ عَلَى جَنَبَاتِهَــا يَتَدَفَّقُ ٱللَّبَنُ
مِحْرَاثُكُمْ صَدِئُ ٱلحَدِيدُ بِهِ وَالفَأْسُ مِلْءُ عُيُونِهَا ٱلوَسَنُ
عُودُوا إِلَى تِلْكَ ٱلقُرَى فَلَقَدْ سَلَخَتْكُمُ عَنْ قَلْبِهَا ٱلمُدُنُ

أَلذِّكْرَيَاتُ عَلَى مَقَادِسِهَا ... أَلأُمُّ وَالأَخَوَاتُ وَالسَّكَنُ[1]
قُبَلُ الطُّفُولَةِ فِي تَرَائِبِهَا ... لَيْتَ الحَيَاةَ لِبَعْضِهَا ثَمَنُ
تَحْتَ الدَّوَالِي مَلْعَبٌ بَهِجٌ ... عِنْدَ الظَّهِيرَةِ وَالرُّبَى وُكُنُ[2]
فَدَتِ العُيُونُ النُّجْلُ أَجْمَعُهَا ... عَيْناً تَدَفَّقَ مَاؤُهَا الهَتِنُ
تَأْوِي الطُّيُورُ إِلَى أَظِلَّتِهَا ... وَيَظَلُّ يَلْثِمُ كَفَّهَا الغُصُنُ
تَرِدُ الصَّبَايَا بِالجِرَارِ وَقَدْ ... عَادَتْ عَلَى أَكْتَافِهَا المُزُنُ
تِلْكَ اللَّبُوَاتُ الَّتِي عَمُرَتْ ... بِشُبُولِهَا الأَجَمَاتُ وَالعُرُنُ[3]

لُبْنَانُ — لُبْنَانُ الحَبِيبُ خَوَى ... لا البَيْتُ لا البُسْتَانُ لا العَطَنُ[4]
خَلَتِ المَرَابِطُ مِنْ سَوَابِقِهَا ... وَتَثَاءَبَتْ بِجِبَالِهَا الأُتُنُ
عُودُوا إِلَى تِلْكَ القُرَى فَعَلَى ... بَسَمَاتِهَـــا يَتَمَزَّقُ الحَزَنُ
لُبْنَانُ مَا فَعَلَ الزَّمَانُ بِنَا ... سَلْهُ أَمَا لِحُرُوبِهِ هُدَنُ ؟
يَغْدُو عَلَيْكَ بِأَوْجُهٍ كَلَحَتْ ... فَمَتَى يُنَوِّرُ وَجْهُكَ الحَسَنُ ؟

(١) السكن : الحبيب.
(٢) الوكن : موقع الطير.
(٣) العرن : جمع عرين وهو بيت الأسد.
(٤) العطن : موضع الماشية.

المتنبي والشهباء

أُلقيت في الحفلة التكريمية التي أقامتها عاصمة سيف الدولة في تشرين الأول ١٩٣٥ لصاحب هذا الديوان .

نَفَيتَ عنكَ ٱلعُلَى وَٱلظَّرْفَ وَٱلأدبا ... وإنْ خُلِقتَ لها - إن لَمْ تَزُرْ حَلَبا[1]

خُذِ ٱلطَّرِيقَ ٱلَّذِي يَرْضَى ٱلفُؤَادُ بِهِ ... وَلا تَخَفْ ، فَقَدِيماً ماتَتِ ٱلرُّقَبا

وَاسكُبْ عَلَى رَاحَتَيْهَا رَوحَ عاشِقِها ... وَمُصَّ مِنْ شَفَتَيْهَا ٱلشِّعْرَ وَالعِنَبا

أَفْدِي ٱلشِّفَاهَ ٱلَّتي شاعَ ٱلرَّحِيقُ بِهَا ... وَهَمَّ بِٱلكَأْسِ ساقِيها وَما سَكَبا

كأنَّها نَجْمَةٌ طَالَ ٱلسِّفَارُ بِهَا ... عَطْشَى . رَأَتْ وَهْيَ تَمْشِي مَنْهَلاً عَذِبا

تَوَسَّدَتْ شَفَتَيْهِ بَعْدَ ما نَهِلَتْ ... وَفَارَقَتْ صَاحِبَيْهَا : ٱللَّيلَ والتَّعَبا

مَا لِلشِّفَاهِ ٱلكُسَالَى لا تُزَوِّدُنا ... فَقَدْ حَمَلْنَا عَلَى أَفْوَاهِنَا ٱلقِرَبا

---

(١) أخذ بعضهم على الشاعر أنه نفى العلى والظرف والأدب عن أي إنسان لا يزور حلب والحال أن الشاعر خاطب نفسه بهذا البيت وهو ما يسمونه في البديع التجريد وقد جرى عليه الشعراء من قبله كقول أبي فراس : «أراك عصي الدمع شيمتك الصبر» ولم يقل أراني . . . وكقول المتنبي : «كفى بك داء أن ترى الموت شافيا» ولم يقل كفى بي . . .

جاران ، تحسبنا إن تلقنا غربا بهجتي شفة منهن باخلة

إذا قرأت على ألحاظها الغضبا أهم بالنظرة العجلى وأمسكها

فرحت أخلق من نفسي لي الريبا أنا الذي اتهمت عيناه قلبهما

نفسي إلى شفة الفردوس ما احتجبا أأمنع الشفة الدنيا ولو طمحت

وكنت لا أرتضي أن أشرب السحبا ويمطر الضيم في أرضي وأشربه

فقد حشدت لها الأخلاق والعربا ذر الليالي تمعن في غوايتها

في راحة الفجر كنت الزهر والحببا شهباء، لو كانت الأحلام كأس طلا

وقد طلعت عليه ، لازدرى الشهبا أو كان لليل أن يختار حليته

لراح يكتب في عنوانه « حلبا » لو ألف المجد سفراً عن مفاخره

لشيدوا لك في ساحاتها النصبا لو أنصف العرب الأحرار نهضتهم

من يعشق الذل أو من يعبد الرتبا لكن خلقت لأمر ليس يدركه

والجبن أكثر ما تلقاه منتقبا تعرى البطولة إلا من عقيدتها

مَلاعِبَ الصَّيدِ مِنْ «حَمْدانَ» ما نَسَلُوا إلّا الأَهِلَّةَ وَالأَشْبالَ والقُضُبا
أَلخالِعينَ على الأَوْطانِ بَهْجَتَها والرّافِعِينَ على أَرْماحِها القُصَبا
حُسامُهُمْ ما نَبا في وَجْهِ مَنْ ضَرَبُوا وَمُهْرُهُمْ ما كَبا في إِثْرِ مَنْ هَرَبا
ما جَرَّدَ الدَّهْرُ سَيْفاً مِثْلَ «سَيْفِهِمِ» يُجْرِي بِهِ الدَّمَ أَو يُجْرِي بِهِ الذَّهَبا
رَبُّ القَوافي عَلَى الإِطْلاقِ شاعِرُهُمْ أَلخُلْدُ وَالمَجْدُ في آفاقِهِ اصْطَحَبا
سَيْفانِ في قَبْضَةِ الشَّهْباءِ لا ثُلِما قَدْ شَرَّفا العُرْبَ بَلْ قَدْ شَرَّفا الأَدَبا

عُرْسٌ مِنَ الجِنِّ في الصَّحْراءِ قَدْ نَصَبُوا لَهُ السُّرادِقَ تَحْتَ اللَّيْلِ وَالقُبَبا
كَأَنَّهُ تَدْمُرُ الزَّهْراءُ مارِجَةً بِمِثْلِ أَلْسُنِ الأَفاعِي تَقْذِفُ اللَّهَبا
أَوْ هَضْبَةٌ مِنْ خُرافاتٍ مُرَقَّعَةٌ بِأَعْيُنٍ مِنْ لَظًى أَوْ مِنْ رُؤُوسِ ظُبَى
تَخاصَرَ الجِنُّ فِيها بَعْدَ ما سَكِرُوا وَبَعْدَ ما احْتَدَمَتْ أَوْتارُهُمْ صَخَبا
فَأَفْزَعَ الرَّمْلَ ما زَفُّوا وَما عَزَفُوا فَطارَ يَسْتَنْجِدُ القِيعانَ وَالكُثُبا

. . . .

تَكَشَّفَ الصُّبْحُ عَنْ طِفْلٍ وَمارِدَةٍ لَهُ عَلَى صَدْرِها زَأْرٌ إذا غَضِبا

كأنَّهُ الزَّنْبقُ الرَّجْراجُ في يَدِها | أوْ خَفْقَةُ البَرْقِ إمّا اهْتزَ واضْطرَبا
نَادَى أبُوهُ — عَظِيمُ الجِنِّ — عِتْرَتَهُ | فَأقْبلُوا يَنْظُرُونَ البِدْعَةَ العَجَبا
مَاذا نُسَمِّيهِ ؟ . . قالَ البَعْضُ صاعِقَةً | فَقَالَ كلاَّ . . . فقالُوا. عَاصِفاً — فَأبى
فقَامَ كالطَّوْدِ مِنهُمْ مارِدٌ لَسِنٌ | وَقالَ : لَمْ تُنْصِفُوهُ اسْماً وَلا لَقَبا
سَنبْعثُ الفِتْنَةَ الكُبْرَى على يَدِهِ | فَنَشْغَلُ النّاسَ والأقْلامَ والكُتُبا
ونَجْعَلُ الشِّعْرَ رَبّاً يَسْجُدُونَ لَهُ ؟ | فَإنْ غوَوْا فلَقَدْ نُلْنا بِهِ الأرَبا
وَاخْتالَ غَيْرَ قَلِيلٍ ، ثُمَّ قالَ لَهُمْ | سَمِّيتُهُ : المُتَنَبِّي فَانْتَشَوْا طَرَبا
وَزَلْزَلُوا البِيدَ حَتّى كادَ سالِكُها | يَهْوِي بِهِ الرَّحْلُ لا يَدْرِي لهُ سَبَبا
يَرَى السَّرابَ عُباباً هاجَ زاخِرُهُ | والرَّمْلَ يَلْتَحِفُ الأزْهارَ والعُشُبا

إيهِ أخا الوَفْرَةِ السَّوْداءِ[1] كَمْ مَلِكٍ | أعاضَكَ التّاجَ مِنْها . لَوْ بِها اعْتَصَبا

---

(١) ذكروا أنه عندما كان في المكتب قيل له ما أحسن هذه الوفرة، وهي الشعر المتجمع على الرأس فقال :

لا تحسن الوفرة حتى ترى | منشورة الضفرين يوم القتال
على فتى معتقلٍ صعدة | يعلها من كل وافي السبال

غَضِبْتَ لِلعقلِ أنْ يشقى (١) فثُرْتَ لهُ   بِمِثْلِ ما اندفعَ البُرْكانُ واصْطَخَبا

هَلِ النُّبُوَّةُ (٢) إلاَّ ثَوْرَةٌ عَصَفَتْ   على التَّقاليدِ حَتَّى تَسْتَحِيلَ هَبا

ما ضَرَّ مُوقِدَها والخُلْدُ مَنزِلُهُ   إذا رَمى نَفْسَهُ في نارِها حَطَبا

طَلَبْتَ بالشِّعْرِ دُونَ الشِّعْرِ مَرْتَبَةً   فشاء رَبُّكَ أنْ لا تُدْرِكَ الطَّلَبا

إذَنْ لأَثْكَلْتَ أُمَّ الشِّعْرِ واحِدَها   وعُطِّلَ الوَكْرُ، لا شَدْواً ولا زَغَبا

لَوْلا طِماحُكَ ما غَنَّيتَ قافِيَةً   بَوَّأْتَها الشَّمْسَ، أوْ قَلَّدْتَها الحِقَبا

قَدْ يُؤْثِرُ الدَّهْرُ إنْساناً فَيَحْرِمُهُ   مَنْ يَمْنَعُ الشَّيءَ أحْياناً فَقَدْ وَهَبا

أبا الفُتُوحاتِ لَمْ تُزْجِ الخَمِيسَ لها   وَلا لَبِسْتَ إلَيْها البِيضَ واليَلَبا

تأتي التُّخُومَ فَتَلْقاها مُهَلِّلَةً   مِثْلَ المَرِيضِ، أتاهُ بالشِّفاءِ نَبا

ما الفَتْحُ أهْدى إلَيْكَ الرَّوْضَ والسُّحُبا   كالفَتْحِ، جَرَّ عَلَيْكَ الوَيْلَ والحَرَبا

وَلَوْ فَتَحْتَ بِحَدِّ السَّيْفِ لانْحَطَمَتْ   تِيجانُ قَوْمٍ، حَشْوُها الظُّلْمُ والرَّهَبا

(١ – ٢) إشارة إلى قوله : ذو العقل يشقى في النعيم بعقله، ثم إلى النبوة التي ادعاها .

« ما كلُّ ما يتمنّى المرءُ يُدرِكُهُ » ويُدرِكُ الغايةَ القصوى وما طلبا
« خُذْ ما تراهُ ودعْ شيئاً حلمتَ بهِ » فرُبَّ حُلمٍ جميلٍ أورثَ العطبا

يا مُلبِسَ الحِكمةِ الغرّاءِ روعتَها حتّى هتفنا : أوَحياً قُلتَ أمْ أدبا
كأنّما هيَ أصداءٌ يُردِّدُها هذا إذا بثَّ ، أوْ هذا إذا عتبا
قالوا استباحَ أرسطو حينَ أعجزَهم وإنّهُ استلَّ مِنْ آياتِهِ النُّخَبا
مهلاً ، فما الدّهرُ إلاّ فيضُ فلسفةٍ يعودُ بالدُّرِّ منهُ كلُّ مَنْ دأبا
مَنْ علّمَ ابنَ أبي سُلمى « حكيمتَهُ » وقُسَّ ساعدةَ الأمثالَ والخُطَبا ؟

يا خالقاً جيلَهُ ، لولاكَ ما عرفتْ لهُ الأواخرُ لا رأساً ولا ذنبا
آمنتُ بالشّعرِ مُذْ أنشاكَ آيتَهُ وكانَ عرشاً مِنَ الأصنامِ فانقلبا
أضرمتَ ثورتَكَ الهوجاءَ فالتهمتْ مِنَ القريضِ الهشيمَ الغثَّ والخشبا
وغالَ شعرُكَ شعرَ الكائدينَ لهُ لِنفسِهم حفرتْ أيديهمِ التُّربا
حتّى رجعتَ وللأقلامِ هلهلةٌ في كفِّ أبلغَ مَنْ غنّى ومَنْ طربا

عفواً نبيَّ القوافي ، أيُّ نابغةٍ لم يزرعوا حولَه البهتانَ والكذبا
منعتَ عنهم ضياءَ الشمسِ فانحجبوا فهل تلومُهُم إن مزّقوا الحجبا
لم ألقَ كالشعرِ مظلوماً، فقد حشدوا لحربهِ ، حسدَ الحسّادِ والنوبا
يُرمى بكلّ قبيحٍ من مثالبهم ويرفعون له الأنصابَ إن ذهبا
مثلَ المسيحِ تغالوا في أذيتهِ وألّهوهُ ، ولكن بعدما صُلبا

قالوا الجديدُ فقلنا أنتَ حجتُهُ يا واهباً كلَّ عصرٍ كلَّ ما خلبا
أفكرةً لم تكن فتقتَ برعمها وجِدّةً لم تكن أمّاً لها وأبا
بعضُ الجديدِ الذي يدعونه أدباً يموتُ في يومِهِ ، هذا إذا وُهبا
إن لم يكن لك حسنُ الوجهِ تعرضهُ فقد ظلمتَ بهِ أثوابكَ القُشُبا

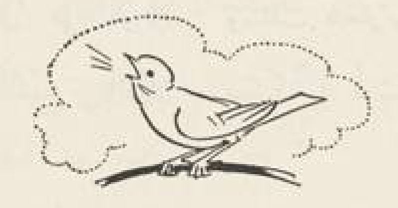
أتُسعدُ الروضةُ الخضراءُ بلبلَها حتّى يغني الروضةَ «الشهباءَ» ما وجبا
أيقنتُ أنّ «سعيداً» (١) آخذٌ بيدي لمّا سما بي إلى «أخوانهِ» النجبا

(١) محمد سعيد الزعيم أحد أركان لجنة التكريم .

أَتَيْتُهُمْ فَكَسَوْنِي كُلَّ سابِغَةٍ وَكُنْتُ أَلْبَسُها لا تَبْلُغُ الرُّكَبَا

. . . .

تِيهاً «عَرُوسَةَ سُورِيَّا» فَقَدْ حَمَلَتْ لَكِ الْقَوافِي عَلَى رَايَاتِها الْغَلَبا





لبس الخريف بك الربيعا

ألقيت في المأدبة التي أقامها بعض
أدباء حلب على أثر المهرجان .

لَبِسَ الخريفُ بكِ ٱلرَّبيعا ... وَمحا عن ٱلورَقِ ٱلدُّمُوعا
أنَّى ٱلتفَتُّ فَلَا أرَى ... إلاّ زُهُوراً أوْ شُمُوعَا
شَهْباءُ يا وَلَهَ ٱلزَّمَا ... نِ وَرَوْحَ شاعِرِهِ ٱلوَلُوعَا
قُسِمَ ٱلجَمالُ على ٱلورى ... وَسُئِلْتِ فَاخْتَرْتِ ٱلوَدِيعا
أَلنَّافِذَ ٱلْمُهجَ ٱلصِّلا ... بَ كأنَّها مُلِئَتْ خُشُوعا

يا رَوْضَةَ ٱلأدبِ ٱليَنِيـعِ وَحُضْنَ سُورِيَّا ٱلمَنيعا
مَنْ كانَ كَوْكَبُهُ جَبينُكِ لَنْ يَزِلَّ وَلَنْ يَضِيعا



الفهرست

قصائد المرحلة الأولى

قصائد من الحرب العالمية الأولى إلى ما بعد ذلك

طلائع من قصائد الألم والعروبة والجهاد



تمّ طبع هذا الديوان على مطابع
دار المعارف في شهر ديسمبر
(كانون الأول) سـنة ١٩٥٣



